الدكتور الشيخ علي الميّاحي

رِحلةُ عِشق!

قصة شاب مؤمن
بلغ درجات عالية في الأخلاق وتزكية النفس

الإهـداء

إلى الله...

وأهل الله...

أهدي هذه الحكاية...

المؤلف

المقدمة

الرواية التي أمامك قصة شاب كان غارقًا في بحر الخطايا، فانتشلته يد العناية الإلهية، وانقذته النظرة الرحمانية، فتحول إلى مريد طامح يطلب طريق الله تعالى، ويبحث عنه بكل جهده، حتى نال شرف التلمذة على يد أحد العارفين في زمانه، والصالحين في أيامه، فاعطاه عين التبصُّر بملكاته السيئة، وسيف المجاهدة لجنود الجهل، وفأس تهديم الأصنام في بيت نفسه، حتى إذا بدأت علائم النصر تلوح، أخذه معه إلى منازل الكمالات فتخلَّق بأخلاق الله تعالى، والتزم بمكارم الأخلاق، وجميل الصفات، ومعالي الخِلال، ثم ارتدى جلباب الآداب، واعتمر عمامة السنن، وهجر مستنقع المكروهات، وشرب من ماء المستحبات، وتناول من موائد المكرمات، فنزل في مياه المحبة، وخاض عباب الهيام، وغاص في لجَّة بحر العشق الإلهي، حتى ظهرت عليه ملامح المحبة، وبانت على باطنه آثار الانجذاب، والتهبت روحه بالشوق، واشتعل رأس قلبه عشقًا، فرأى ما رأى، وفتح الله له أبواب المعارف الشهودية، ونوافذ العطايا الربانية، فعاش مستأنسًا بالقرب، ومتلذذًا برؤية

عين القلب لحقائق، ودقائق، ورقائق لا تُرى إلا بالبصيرة، ولا تُدرك إلا بتوفيقٍ خاص، ولقد أعرضت عن سردها عن قصدٍ كي لا يعتقد القارئ الكريم إنها غاية هذه السطور، ولا بغية هذا المسطور، وحتى لا تكون حجر عثرة في الطريق!

تقدم هذه القصة مراحل تزكية النفس، وتهذيبها عبر أسلوب سردي بحوار يتسم بالسهولة من خلال اللهجة العراقية الدارجة، فقد تم بيان المقام الأول ـ المجاهدة ـ مع وضع المعالجات العملية للخلاص من الملكات السيئة، ثم انتقلت القصة لبيان المقام الثاني ـ الكمالات ـ فتم بيان المنازل، والآداب، والسنن، والمكروهات، ثم انتقلت إلى المقام الثالث ـ المحبة ـ فتم بيان الحب الإلهي في القرآن الكريم، والروايات الشريفة، ثم استعراض أهم العارفين الذين عُرفوا بالمحبة، والعشق الإلهي، وأما المقام الرابع ـ المعرفة الشهودية ـ فلم تتعرض لها القصة عن قصد.

إن هذه القصة ـ شبه الحقيقية ـ والتي كان أبطالها بأسماء وأماكن مستعارة وأماكنها كذلك، تصلح لفهم الخريطة التفصيلية للسير والسلوك والعرفان المُستقى من معارف أهل البيت عليهم السلام حصرًا.

الشيخ علي المبّاحي

زقاق ضيِّق

كان نائمًا في مستنقع من الذنوب والخطايا، غافلًا عن الله (عز وجل) لدرجة بائسة، فهو بعيد حتى الواجبات، ومقترف للسيئات بشراهة، وحيث إنه من عائلة ثريَّة ومترفة، فقد أتاح له ذلك الانغماس في الموبقات مستغلًا الثراء المادي، والاقتدار على فعل ما يحلو له...

حسن كان جذابًا ووسيمًا، وجريئًا في الوقت ذاته، وكان مغامرًا لأبعد الحدود، وطموحًا لمستويات عالية، فهو طالب كلية الطب المتميز في جامعة بغداد، وصاحب مشروع اقتصادي ذي أرباح جيدة في بغداد، وحيث إنه يحب السفر كثيرًا فقد زار أغلب دول العالم كسياحة واستجمام، لقد أغوته الدنيا، وألهته مغرياتها، واجتذبته أياديها، فانحدر نحو ما لا يرتضيه الحق تعالى ومع ذلك كله تداركته عناية الله تعالى...

يقول: في ليلة من ليالي الصيف الحار حيث رجعت متسكعًا من سهرة مع أصدقائي وقد كانت الساعة ٢:٣٠، رجعت من بيت أحد أصدقائي وفي الطريق تراءى لي رجل مهيب تجلله روحانية عجيبة وكأنه ليس من أهل الدنيا، لقد كان طويل

القامة، يمشي كأنه ينحدر انحدارًا، ولم أستطع أن أرى ملامح وجهه بسبب الظلام الموجود في الزقاق...

ولأتجنبه قلت مرتبكًا: السلام عليكم

قال: وعليكم السلام، وأردف سريعًا:

(ومتى يصل العبد للسلام وهو في حرب مع الله!)

[غير كون العبد يفهم السلام]

ثم قال: (فمن لم يسالم الحقيقة لا يفهم السلام!!)

ثم قال متأسفًا: إنا لله وإنا إليه راجعون

[مسكين ابن ادم يحارب حبيبه، لو يعرف السالفة جا خجل]

نزلت هذه العبارة كالصاعقة على رأسي... وسرعان ما انتهى المشهد... وغاب عن بصري حيث شق طريقه إلى الشارع الآخر وبقيت العبارات ذات صدى في كل أصقاع قلبي...

رجعت وأنا أشعر بأن هذا الرجل لم يكن بشرًا اعتياديًا... وبقيت متأملًا طوال الليل...

هل يمكن أن أكون بحربٍ مع الله؟!

ما معنى الحقيقة التي يجب أن أسالمها؟!

لماذا تحسَّر واسترجع؟!

هل يعرف أحوالي؟!

يا ترى من يكون هذا الرجل الغامض؟! في الزقاق الضيق؟!

البحث عن الغامض

أخذت مني الأفكار مأخذًا عظيمًا بحيث إني لم أستطع النوم إلا دقائق معدودة، وحتى في منامي القصير جدًا، تراءى لي نفس الرجل الذي لم أستطع أن أميز ملامحه وهو يقول متسائلًا: (أحربٌ مع الله؟!)

وهكذا بقيت بدوامة التفكير إلى أن سمعت آذان الفجر قمت إلى الصلاة بروح متعبة، وذهن مشتت، وجسد مضنى، وأنا أقف لأول مرة خائفًا بين يدي الله تعالى...

أقمت تلك الصلاة وكل تفكيري بهذا الرجل وكلماته!

أيمكن أن يكون ملكًا؟

أم من عالم الجن؟

أم بشرًا صالحًا؟!

وكيف استطاع أن يعرف ما في باطني والزقاق شبه مظلم؟!

ومن أين عرف بتخبطاتي، وابتعادي عن الله تعالى وووووو

وهكذا إلى عشرات الأسئلة...

وبعد الصلاة دخلت بنوم عميق نتيجة الإرهاق والسهر

وقد رأيت في منامي أني أدخل في نهر جاري وأغتسل من أوساخ وأدران والرجل نفسه وأقف على ضفة النهر وهو يقول بعبارة واضحة:

(قذارة الغفلة وماء اليقظة) ويكرر ذلك كثيرًا.

وحين استيقظت وجدت في نفسي رغبة شديدة في إيجاد هذا الرجل وحل هذا اللغز المحيِّر وأني لا بد أن أتحدث معه...

يا ترى من أين يمكن أن أعرفه وقد صادفته في زقاق من أزقة المنطقة والليل متأخر والظلام...

إلا أني لا زلت أتذكر طوله الفارع، وهيئته الضخمة...

لذلك قررت أن أذهب إلى الزقاق نفسه والشوارع المحيطة به وأسأل هناك عسى أن أعرفه أو أعرف من يعرفه...

وفعلًا ارتديت ملابسي وخرجت مرتبكًا ومضطربًا ولم يحصل أن مررت بهذا الحال طوال حياتي.

دخلت الزقاق فلم أجده ومررت بعدد من الشوارع فلم أجده حتى عيل صبري، وخارت قواي، فمررت بمحل لندافة القطن وفيه رجل كبير السن ذو لحية بيضاء كريمة فبادرته قائلًا:

- السلام عليكم.

- عليكم السلام أهلًا عمي، تفضل.

- ممكن مي؟!

- بخدمتك، استريح.

جلست على الكرسي، ناولني كأس الماء وقال: اشرب الماء، واذكر عطش الحسين والعن قتلته أهل (قذارة الغفلة)!

- صدى الكلمة كان كانفجار في مسامعي فقد سمعت هذه العبارة في منامي اليوم بعد صلاة الصبح...

بقيت مبهوتًا بوجهه..

ابتسم وقال: (من كان الحسين بقلب مسلم بن عقيل ما شعر بالغربة، اللي بگلبه الحسين مو غريب بس الي گلبه غافل وتايه وضايع ما يلگه صاحبه...)

- حجي دخيلك شنو الموضوع؟!

- يا موضوع؟! ردت ماي وانطيناك...

- إني أبحث عن شي وأنت فتحت شفرته...

- شنو؟!

- أبحث عن شخص التقيته بمنطقتكم بس ما ميزت ملامحه وأنت انطيتني مفتاح الموضوع بس أنت نحيف وهو ضخم وطويل

- ابتسم

وقال: وصلت عمي بس مو اني...

■ ■ ■

خيط أمل!

قلت له مستغربًا: إذا مو انت، شمدريك إذن؟!

قال: مو شغلك، ثم انصرف يرتب أغراض محله منشغلًا عني بتصنع...

قلت: عرفني عليه اذن!

لا شك انك تعرف الموضوع. وعدته عليه.

قال: حدثني بما حصل كي افهم الموضوع.

قلت: كنت مارًّا في الزقاق الذي يقع خلف محلك بثلاثة شوارع ومر جنبي رجل فسلمت عليه فقال:

- (وعليكم السلام، واردف سريعًا (ومتى يصل العبد للسلام وهو في حرب مع الله!) [غير كون العبد يفهم السلام] فمن لم يسالم الحقيقة لا يفهم السلام!!) ثم قال متأسفًا: إنا لله وإنا إليه راجعون [مسكين ابن ادم يحارب حبيبه، لو يعرف السالفة جا خجل!])

وانا الأن ابحث عنه، كي أعرف مقصوده وقد اهتدي على يديه...

حين سمع مني الحاج هذا الكلام، ترك القطن الذي بيديه وجلس على كرسيه واطرق برأسه وقال:

ـ (شوف عمي، هذا كلام حكيم، والإمام زين العابدين (صلوات الله عليه) يقول: [هلك من ليس له حكيم يرشده][1] ولا بد لكل طالب حقيقة من أستاذ يوصله للحقيقة، والا فأنه يتيه، والإنسان يطلب الدليل في الفرسخ والفرسخين، والمدن الجديدة التي لم يأت إليها من قبل أفلا يطلب الدليل في ملكوت السموات؟!!

ولذلك قال أساتذتنا: [لو لا المربي ما عرفت ربي] وهذا ربَّاك بهاي كلماته، وانطاك درس عظيم...

والله يرحم أستاذ أساتذتنا المرحوم السيد علي القاضي جان يكول:

(لو يكضي الإنسان نص عمره يدور على أستاذ ما مسوي شي) مو نص نهار وجاي تتعزز ومتضايق...

وبابتسامة ملكوتية قال: تعال نشرب جاي!

ـ أخذت كلمات هذا الرجل مني مأخذًا عظيمًا، ودخلت بدوامة جديدة من الأفكار، فأنا لم اسمع من قبل كل هذا الكلام فما قصة الحكيم في قضيتي؟

ومن هذا النداف؟!

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٥٧ ص ١٥٩.

ومن هم أساتذته؟!

ومن القاضي؟!

ووو.... وفي رحلة صمت ودهشة، قاطع صمتي وقال: لا تدوخ السالفة سهلة

[هي طيرة تايهة من اهلها، وراح ترجع!!!]

- منووو؟!

- الروح!!

المهم اشرب جايك لا يبرد [والبارد ما يعرف الحب!]

ضحكت وقلت: شجاب هاي على هاي؟!

كلي: هاي اخت هاي ما سامعهم يكولون: (الحماس يولد العشق)

- كلشي ما فتهمت!

- مو بالضرورة الا تفهم هسه، هي الحقيقة رحلة الما يفتهمون للي يفهمهم، ويفهمهم حتى ازغار ما مارة عليك الآية اللي تگول: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[1].

وبنظرة عميقة أحسست أنه اخترق روحي قال المهم بويه: انطيني مواصفات الرجل اللي كلمك وما عرفته.

(١) سورة الأنبياء: ٧٩.

- طويل عريض الكتفين وما ميزت وجهه من الظلام!

هنا قاطعني وگال: [ليش ما رفعت الظلام؟!!!]

- بضحكة ساخرة: حجي أنت تقلد علي هههههه

- لا والله اُحجي صدك، اللي يرفع الظلام يشوف!

- ما فهمتك حجي!

- المهم عمي: هذي مواصفات شيخ يقظان وهذي حجاياته ويمكن يكون هو المقصود أو غيره لكن اعتقد هو لأن تالي ليل يطلع للمسجد القريب من بيتهم يحيي السحر هناك وتكدر تروح اليوم بصلاة المغرب للمسجد وتعرفه يصلي بالزاوية الاخيرة من المسجد.

- شنو اسم المسجد؟

- مسجد فاطمة

- مسجد فاطمة؟!

- أي جا هي السالفة كلها يم فاطمة!!

- وين بيا مكان بالضبط؟

حدد لي المكان وانصرفت منه بعد ان شكرته وقد شعرت ان كلماته لامست قلبي مع بعض شفراتها التي كانت مقصودة من قبله...

■■■

جلال وجمال

دخلتُ إلى (مسجد فاطمة) قُبيل صلاة المغرب بنصف ساعة، ولم اكن من مرتادي المساجد والحسينيات، اذ انني صرفتُ جلَّ وقتي في الدراسة صباحًا، وفي الرياضة مساءً مع سهرات الليل مع أصدقائي، فليس لدي فكرة عن هذه الأماكن وروَّادها...

كان (مسجد فاطمة) صغيرًا، وذو باحة جميلة، تتوسطها نافورة جميلة نُقش على جوانبها ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾[1] وعلى يسار الباب الرئيسي من الداخل ميضئة للوضوء، اعجبتني الباحة الخارجية حيث المكان الصغير وجلوس الشيبة قُبيل الصلاة وهم يتحدثون بأحاديث جميلة وبعضهم يتندر بطرائف أخلاقية وتربوية، سمعت بعضها حين مررت جنبهم...

كان الشوق يجرني نحو حرم المسجد عسى ان أجد ضالتي في إحدى زواياه، لا أدري هكذا أخبرني الحاج صاحب محل

(١) سورة الملك: ٣٠.

النداقة، فأسرعت الخطى ودخلت بسرعة وصرتُ أنظر إلى المقدمة، فشيخٌ كالذي كلمني في الزقاق، وحدثني عنه الحاج النداف سيكون في مقدمتهم بلا شك فهو اما امام المسجد أو مسؤوله، لكني لم اجد في المقدمة ذا الاوصاف التي رأيتها في الزقاق الضيق التفت إلى اخر الزاوية الخلفية اليمنى وإذا بنظري يقع على رجل مجلل بالنور تحوطه روحانية عجيبة وله مهابة لم ارها من قبل!

أسرني وجوده، وتملكني مظهره، فلقد كان بحالة من الإقبال والتوجه لله تعالى لم أشاهدها طوال حياتي، وكأن روحه لم تكن هنا أبدًا...

- يا إلهي: هذا هو الرجل الذي كلمني.

دنوت منه بجرأة واندفاع وقد قطعت عليه الدعاء الذي كان يقرأه في كتاب بصوت رخيم

- السلام عليكم

- عليكم السلام والرحمة

- شلونكم عمو؟

- الحمد لله، تفضل عزيزي.

- اني اللي كلمتني البارحة بالليل وقلت: (ومتى يصل العبد للسلام وهو في حرب مع الله) فاني فعلًا في حرب مع الله وأريد أتصالح وياه؟

- طيب، إتصالح!

- شلون؟!

- مثل كل واحد تتصالح وياه، اعمل بالواجبات، واترك المحرمات، وبهاي الطريقة راح تتصالح وياه، ويرضى عليك وتضع الحربُ أوزارها من جهتك، والا فهو لم يحاربك!

لقد كان جوابه اعتياديًا ولم يشف غليلي، ولم يطفئ نار الشوق في باطني، ولم يكن ملتفتا إليّ، شعرت انه يتجنب التفاصيل، فأجبته بسرعة

- عمو اني أعرف هذا الكلام بس ما أگدر أطبقه!

- طيب، شنو المطلوب مني؟!

هنا خرجت كلمة من لساني لا أعرف كيف خرجت، وكأن قلبي هو الذي نطق أو أن أحدًا نطق بلساني فقلت:

- ربني على إيدك، كلبي يريد حُب!

وبتلعثم وسرعة قلت: أريد احب الله؟!

فابتسم، ابتسامة باردة وقال ابياتًا باللغة الدارجة:

يـالـجـاي لـلـحـب إجـديـد   مـتـشـعـشـع وعـنـدك عـيـد

بهونك تره الدرب يجيد

تـشـكـل عـلـيـك اوزانـه   روح لـهـلـك يـولـيـد لا تبلانه!

عرفت من خلال هذه الابيات انه يرفض ذلك ويطلب مني أن أنصرف عنه ثم أطرق رأسه وانشغل بالذكر وما كان مني الا

ان قمت من عنده خائبا وخرجت من حرم المسجد وقد بقي للأذان دقائق وصممت على الخروج!

وفي الباحة وانا اتخطى الناس بحزن وانكسار، وإذا بأحدهم يمسك بيدي بقوة التفتت وإذا به الحاج النداف وبشدة وعنف جرَّني إليه وقال بهمس:

- من فوك جلال، ومن جوَّه جمال!

- يعني شنو؟!

- يعني ظاهره شديد وياك بس باطنه يحبك، لا تيأس!

- وهسه شسوي؟!

- وره الصلاة نسولف، تعال صلي بصفي.

■ ■ ■

موسى وعنوان

أتممتُ صلاتي خلف إمام المسجد، الذي كان شيخنا يرتدي عمامة بيضاء وقد علا البياض لحيته، جنب الحاج النذّاف، وأنا أعيش أعلى حالات الانكسار وأشدها، فقد عشتُ حياةَ الترف والدلال، ولم يسبق أن يردّني أحدٌ بهذه القساوة والغلظة...

لقد أثّر بي موقف الرجل الشديد كثيرًا، وأخذت بي الأفكار بعيدًا بعيدًا حتى أحسستُ بيد النداف تمتد للمصافحة وهو يقول: تقبل الله!

فقلت بتململ: تقبل الله حجي!

فقال: من يفكر بعبد الله، في صلاة الله، لا يصل إلى الله!

لم تجتذبني الكلمةُ كثيرًا، وظننتها مدارةً وتسليةً لا أكثر، ثم نهضنا للخروج

فقال الحاج: نطلع سوه!

مسك بيدي وقال: أريد أن اقول لك شيئا مهمًا فأعطني مجامع قلبك وكما يقول الحق: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[1].

- تفضل.

- أعلم، أن الموقف الذي حصل معك قبل قليل صعب ولم تكن تتوقعه، ولكن البضاعة غالية واهلها يخافون عليها!

- يا بضاعة؟!

- حين سألته هكذا، نظر اليَّ بعطف عالم لجاهل، ووضع يده على كتفي ووقف وقال:

تلك التي أخرجت يوسف من كنعان
والقته في بئر التسليم
ثم أخرجته من جُبِّ الحيرة إلى سوق الكثرة
فلم يمكث حتى سكن في بيت الوحدة والحضور
ثم انتقل إلى سجن التحرر والانعتاق ثم صار ملكًا بها
وهي نفسها التي جعلت يعقوب واولاده يسجدون له!

- ضحكت وقلت: حرام إذا افتهمت شي!

قال: أنت لماذا تريد اللقاء بشيخ يقظان؟!

- أريد تربية نفسي، ومحبة الله، وان أكون مؤمنًا.

- ولأن مطلبك صعب تشدد عليك فما عليك الا ان تبقى

---

(1) سورة المزمل: ٥.

مصرًا وتلح عليه وتطرق الباب كثيرا ولا تتركه ولو طردك الف مرة فإن الطريق إلى الله تعالى من دون أستاذ صعب للغاية وفيه ما فيه من المزالق والمهالك ويندر ان يجتازه أحد ارجع غدًا وبعد غد وبعدهما واجلس بين يديه ولا تتركه فأنه من أهل القلوب ورجال الله وهو أحد رجال سلسلة مدرسة أستاذ أساتذتنا المرحوم السيد علي القاضي التبريزي (قدس سره) وقد القت رحلها ببابه!

- قلت متململًا: وإذا طردني!

- بويه سامع بموسى وعنوان؟!

- لا!

- شوف: النبي موسى طلب من الله (عز وجل) ان يرزقه لقاء أحد أولياء الله فارشده الحق تعالى إلى البحر، وهناك مر موسى وغلامه على رجل مستلقي على ظهره - وكان هو المقصود - فلم يعتن بهما ولم يقل لهما انني المطلوب وتركهما يسيران بعيدًا ويتعبان كثيرًا بأعتبار انه متأكد [اللي يريده الله يجيبه] وبعد كذا ساعة اضطرا ان يرجعا ليجدا الشخص نفسه بالانتظار... قال له: [تعال يا موسى سالفتك يمي] لكن الخضر تشدد كثيرا مع موسى وأخبره أكثر من مرة [إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا] وموسى الكليم كان مصرا على التحمل والطاعة والتسليم [شتريد بخدمتك] وكان يردد: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي

لَكَ أَمْرًا﴾ وهنا مارس الخضر أشد الاساليب حتى يختبر موسى [ويشوفه يتحمل الطريق يو لا]...

* كسر سفينة الملك، وقتل غلاما، واقام جدارا ولكن موسى لأنه يريد بلوغ الأسرار التي عند الخضر لذلك كان يعتذر على كل تساؤل ويطلب الصفح والعفو والتجاوز...

وفي النهاية أعطى الخضر مفاتيح الحقيقة لموسى وفتح بها أبواب مملكة العشاق!

وأما عنوان فهو رجل كبير بلغ الأربع وتسعين سنة وقد جاء إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام ليتعلم حقيقة العبودية على يديه فتعامل معه الإمام كما تعامل الخضر واشد وصرفه من بابه ولكن إصرار الشيخ عنوان جعله يجلس بحذاء باب الإمام ويتوسل إلى أن فتح له الابواب ورفع له الاستار واشرقت على قلبه الأنوار...

وبابتسامة عريضة قال لي: هسه فهمت يو لا؟!

- قلت: ليش هيج يتعاملون؟!

- قال بهمس: العطش يولد الحماس!

- وصلنا لمفترق طريق!

قال: اني اروح منا، لبيتنا، وأنت روح لأهلك ولا تمل!

قلت له: من اليوم فصاعدًا [أهل الله هم أهلي]!

شكرًا لأنك أفهمتني الطريق وغدًا سأرجع للشيخ يقظان ولا أتركه

[مو إذا كسر السفينة لو يكسر راسي ما أتركه]

- ابتسم وقال: الله يرحم عزيزنا سيد عبد الكريم الكشميري كان يقول:

(من توسل بصاحب الزمان ١٠٠ مرة سهّل الله له أستاذًا للطريق)

- ماشي حجي

- في أمان الله

- في أمان الله

■ ■ ■

مونولوج ملكوتي

رجعتُ إلى بيتنا وأنا أعيش حالًا لم أعهده من قبل، وأمر بشعور عظيم يخامر وجداني وضميري، إرادة قوية، وهمةٌ عاليةٌ لبلوغ هذا الأمر، يا ترى هل هذه بارقةُ توفيق إلهي، أم نزوةُ شباب للتعرف على مجهولٍ خفي؟!

على كلِ حال سأخوض هذا البحر وليحصل ما يحصل، فأن كل القرائن التي مرَّت. من قبيل كلمة الليل، وعبارات الندَّاف التي لم يعرفها أحد، وممانعة الشيخ يقظان، تدل على أمر عظيم، ومطلب عالي... هكذا أخذت الأفكار تراودني مع وجود الإرادة العالية...

- في بيتنا حيث أعيش مع والدتي، واخواني الاثنين (صفاء ٢٢ عامًا. عقيل ١٤ عامًا) واختي (دعاء ٢٥ عامًا) طبيبة الأسنان أكون شبه منعزل عنهم بسبب دراستي وعلاقاتي الخارجية وهم كذلك فكل واحد منّا يعيش بعالمه الخاص ويصعب أن تشرح لهم الحال الذي أنت فيه فالجلسات المشتركة غالبًا ما تكون على الغداء والعشاء والعيون متسمِّرة

على التلفاز أو شاشات الموبايل حيث مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها لذلك من سيفهم الحال الذي انا به؟!

حتى أصدقائي في المنطقة والجامعة أكاد أجزم انهم سيواجهوني بالتهكم والازدراء لو أني حدثتهم بهذه القصة الغريبة، ولذلك سادخل هذا المعترك لوحدي لحين بلوغي الحقيقة الغامضة التي يملكها الشيخ يقظان ويدلُّ عليها الحاج النداف.

دخلت إلى غرفتي وأخذت اتصفح النت وأتجول مواقع التواصل الخاصة بي والمليئة بأخبار السياسة، والفن، والرياضة، وأمور اخرى ولكني اليوم مختلفٌ تمامًا فأنا اشعر بعطشٍ لماءٍ من نوع آخر، أنا بحاجة إلى إرواء غليل روحي...

بحاجة ماسة إلى معالجة الجفاف المعنوي الذي استشرى بكل كياني...

بحاجة ماسة إلى حلول عملية لهذا الضياع الذي اعيشه...

إن العالم الملائكي، والبيئة الروحانية، والكلمات الحكمية العذبة التي سمعتها من الحاج النداف، والجو الملكوتي الذي رأيته في مسجد فاطمة هو الكفيل بسعادتي الحقيقية، هكذا اعتقد لحد هذه اللحظة، ولا أدري ماذا تخبئ لي الأيام، فلقد جربت كل الملذات الدنيوية، وطرقت كل الابواب، لقد فعلت ما يتمناه كل الشباب

لقد لقد لقد... هل وجدت سعادتي؟!

هل ادركت راحتي؟!

انا الذي املك اموالًا طائلة.. وسيارة فارهة.. وعلاقات كثيرة مع كلا الجنسين، واملك رصيدًا كبيرا في مصرف الرافدين، وسافرت لدول الخليج واوربا وباقي دول العالم...

لكني لم أجد الحقيقة، السعادة، الراحة، الكمال، اللذة، النشوة، الطمأنينة، السكون...

والأن قد قررتُ الرجوع إلى الله تعالى بلا عودة وبلا كسل وسأبدأ رحلة الحب لله تعالى، وساتجشم العناء ان كان هناك عناء فعلًا...

بهذه الهمة والإرادة القوية... دخلت على الكوكل وكتبت كيف أتوب إلى الله تعالى؟!

مع بساطة السؤال ومعرفتي للجواب الا اني شعرت بحاجة إلى من يعلمني وجدت عدة مقاطع مرئية لدعاة وخطباء من مذاهب مختلفة وعدة مقالات ووووو

لكني فهمت ان

* اغتسل غسل التوبة
* صل ركعتين قربة لله تعالى
* إقرأ مناجاة التائبين ودعاء طلب التوبة للامام زين العابدين عليه السلام
* اندم على ما مضى

❋ اعزم على ان لا تعود للمعاصي

قمت بهمة عالية وعملت ببعض هذه الأمور ثم طاب لي الجلوس على سجادة الصلاة وكأني قد ولدت من جديد

مددت يدي بانكسار وقلت: (**الهي أيها الحنَّان المنّان طالما ابتعدت عنك ولكنك برأفتك لم تتركني، الأن انا قررت ان اعود اليك فلا تُرجعني اليَّ يا رب... أعطف علي قلب الشيخ يقظان واسمح له ان يعلمني مما علمته، فقد انقطعت اليك همتي وانصرفت اليك رغبتي وانا اعاهدك ان لا اعود إلى عالمي الظلماني، اسمح له ان يربيني على يديه كما سمحت لأساتذته ان يربوه على ايديهم...**)

نزلت مني دموعٌ لم اعهد نزولها، تغشتني سحابة حزن لم تمطرني سابقًا، تذوقتُ حالًا لا أعرف ما هو...

ثم تذكرت الكلمة الاخيرة للحاج النداف: (توسل بصاحب الزمان) وكان قد أعطاني ذِكرًا خاصًا اكرره مائة مرة وقد فعلت...

بقيتُ على هذا الحال من الشوق والانشداد والرغبة العارمة للتلمذة على يد هذا الإنسان المؤمن الذي أحدثت كلمته في باطني كل هذا التحول. إلى ثلاثة ايام وكأن صارفًا يصرفني عن الذهاب فكلما أدرت الذهاب إلى المسجد جاء عارضٌ يمنعني وسبحان من جمع الشوق والمنع وقد عشتُ استغرابًا ودهشة من ذلك فهذا الصارف النفساني لا بد له من سر خفي...

الى ان رأيت في اليوم الثالث الشيخ يقظان في المنام وهو يبتسم بوجهي ويقول: تعال!

فقررت الذهاب في رابع يوم عمري الحقيقي لتبدأ رحلة العشق...

■ ■ ■

كليَّة طب الأرواح!

بدأت خيوط الشمس بالانسحاب، ونسائم المغرب بالهبوب، ولاحت آفاق ليل مشمس ببداية جديدة...

بعد ثلاثة ايام من الشوق والألم والعطش اجتمع فيها قرب الماء وبعده، وجذب الحب ودفعه قررت الذهاب لمسجد فاطمة حيث تصلي الروح التي آمل ان تنتشلني من عالم الضياع إلى عالم الصفاء والنور...

حثثت الخطى نحو المسجد الصغير، يحدو بي الشوق إلى لقاء الشيخ يقظان وقررت في طريقي ان أمر على محل الحاج الندَّاف لأخبره بما حصل معي في الأيام الثلاثة الماضية وبالرؤيا المبشرة التي رأيتها...

لكني وجدت محل الحاج مغلقًا فقلت لعله ذهب إلى المسجد فأكملت مسيري بسرعة كي استفد من الوقت...

دخلت المسجد وجددت وضوئي واسرعت نحو الحرم الصغير وإذا بي اتفاجئ بالهالة النورانية للشيخ يقظان وهو ينظر للباب بعين ملئها الهيبة والوقار فما ان وقع نظره علي تبسم

واشار لي بيده ان تعال [وكانت نفس الحركة التي رأيتها بالضبط في المنام] ولشدة اضطرابي عثرت بالبساط...

- السلام عليكم شيخنا.

- عليكم السلام والرحمة، أهلا شلونكم.

- الحمد لله، الحمد لله، اني زين. [وكان الارتباك واضحًا علي]

- لا يوجد أحد يطرق الباب ولا يُفتح له، أساسًا باب الله مفتوح لنا (بابك مفتوحٌ للسائلين)... وهنا سالت من عينيه دمعتان كأنهما اللؤلؤ المكنون، وفي وسط دهشتي من سهولة بكائه، وشدة تفاعله مع قوله... استدرك قائلا:

(هو وين أكو باب؟!... اساسًا الله أقرب الينا منّا...)

ثم حاول ان يغير الحديث فقال:

- شنو أسمك؟!

- قلت بتلعثم: اااااا حسن!

- وين تسكن؟! وشنو تدرس؟!

- كرادة داخل، وادرس بجامعة بغداد، كلية الطب، مرحلة ثانية...

- طيب أيها الطبيب المستقبلي ماذا تريد؟!

(هنا أجبت بسرعة وكأني أريد ان اتجاوز هذا السؤال إلى الذي بعده)

- أريد الله!

- انشرحت اساريره واسترخى قليلًا واعتدل جبينه وقال:

انتم بالطب تعالجون جسد المريض فيوصل للشفاء، ومنا يداوون روح المريض فيوصل لله...

اللي يطيب جسده يوصل للعافية، واللي يطيب روحه يجد الله في قلبه!

- هنا اقتنصت هذا الانشراح وحاولت ان الح أكثر فقلت:

- شيخنا: كن طبيبي وعالج امراض روحي، فأنا وان كنت طالبًا في علم الطب الا اني مريض في علم الروح...

هنا وضع يده اليسرى على اليمنى وقال شعرا منثورًا...

وحيث ان الروح اصبحت عليةً... وتشرَّب المرض فيها يا صديقي

فهيا لنذهب إلى شاطئ البحر عسى ان نجد بقية ماء الحياة عند الخضر

فقد قيل: ان الحب هو العلاج للمرضى

وان العشق اكسير الحياة... ولا علاج للمرضى الا بالوصال

ثم رفع يديه وقال بخشوع لم ار مثيلًا له طوال عمري:

إلهِي مَنِ الَّذِي نَزَلَ بِكَ مُلْتَمِسًا قِراكَ فَما قَرَيْتَهُ؟

وَمَنِ الَّذِي أَناخَ بِبابِكَ مُرْتَجِيًا نَداكَ فَما أَوْلَيْتَهُ؟

أَيَحْسُنُ أَنْ أَرْجِعَ عَنْ بابِكَ بِالْخَيْبَةِ مَصْرُوفًا، وَلَسْتُ أعرف سِواكَ مَوْلىً بِالإِحْسانِ مَوْصُوفًا؟

كَيْفَ أَرْجُو غَيْرَكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِكَ؟!

وَكَيْفَ أُؤَمِّلُ سِواكَ وَالْخَلْقُ وَالأَمْرُ لَكَ؟!

أَأَقْطَعُ رَجائِي مِنْكَ وَقَدْ أَوْلَيْتَنِي ما لَمْ أَسْأَلْهُ مِنْ فَضْلِكَ؟!

أَمْ تُفْقِرُني إلى مِثْلِي وَأَنَا أَعْتَصِمُ بِحَبْلِكَ؟!

وفي لحظات من البكاء والتوجه التفت الي وقال:

ـ حسن: انا لا قيمة لي، انا لا شيء بل أقل من اللاشيء ولكن الحاحك في الأيام الماضية علي ومناجاتك الصادقة بين يدي الله في الأيام الثلاثة الفائتة تجبرني ان أكون بخدمتك فاستعد للدخول في عالم الكمالات واسأل الله ان يعينك ويوفقك بحرمة محمد وآل محمد...

ثم قال: هناك امران اوجب عليك عملهما...

الأول... اذهب غدًا لزيارة القاسم بن الإمام الكاظم عليه السلام في محافظة بابل وتوسل بجنابه واطلب منه ان يعينك في طريق القرب من الله تعالى فقد سمعت من أكابر العلماء الربانيين ان للقاسم عليه السلام مقامٌ عظيم في عالم الكمالات وان كل الذين وصلوا لذلك الوادي كانت لهم علاقة بهذا العبد الصالح والولي الناصح...

فاذهب غدًا لزيارته وتوسل به واطلب منه ان يعينك في الطريق إلى الله تعالى...

- اني ما زايره ابدًا مع الاسف لكن الأمر بسيط غدًا اذهب للزيارة ان شاء الله تعالى.

قال: واما الأمر الثاني: فأقرا هذا الدعاء أحد عشر يومًا (....)

وبعدها تعال لي...

سأكون بانتظارك...

ماشي شيخنا...

في أمان الله تعالى...

في أمان الله تعالى...

■ ■ ■

قاسم العطاء

امرني الشيخ يقظان بزيارة قبر القاسم بن الإمام الكاظم عليه السلام، وان اتوسل بمقامه السامي عند الله تعالى بأن يعينني على نفسي، وأن يجتبيني ويعلمني العبودية لله سبحانه، وان آتي للقائه بعد إتمام مراسيم الزيارة مع الإلتزام الدقيق بالذكر شرط حضور القلب.

رجعت من مسجد فاطمة وانا بغاية السرور، وإنشراح الصدر، وطمأنينة النفس وكأني احلق في الهواء من السعادة، فمررت على دكان الحاج النداف فوجدته مغلقًا، وقضيت ليلتي بمراجعة بعض دروسي في الكلية، كما نمت مبكرًا كي استعد لسفر الغد، وفي منامي سمعت هاتفًا يقول: الماء... الماء... الماء!

ولم أعرف معنى هذا المنام...

قمت لصلاة الصبح، وبعدها قرأت دعاء العهد، وانطلقت إلى محافظة بابل وحين وصلت مركز مدينة الحلة سألت عن القبر الطاهر لسيدي ومولاي القاسم عليه السلام وفي طريقي بين الحلة

وناحية القاسم وجدت عائلة في الطريق كانت ذاهبة إلى زيارته فأصعدتهم وهم إمرأة كبيرة وفتاة واطفال صغار...

وفي طريقنا كانت الأم تحدث إبنتها ذات الثلاثة أطفال قائلة:

(يمَّه: يمته اجيناه ورجعنا خايبين منه؟!... هذا باب الحوائج، بس خلي عندك ثقة وان شاء الله وليدج المريض يطيب...) ثم صارت الأم تحدث ابنتها الشابة عن عدد من القصص المتعلقة بأهل الحوائج التي قضاها الإمام القاسم عليه السلام وكأن الرسالة الإلهية قد وصلت من خلال هذه المرأة.

وهكذا وصلت إلى الناحية التي تحتضن القبر المعظم، وقد تراءت لي القبة الذهبية الشامخة، والمنارتان المباركتان، وقد رأيت جموع الناس تقصده من كل حدب وصوب والجميع يعيش حالة من الإنقطاع والخشوع والتسليم...

وقفت عند الباب الرئيسي للحرم المطهر، وكُلي رهبة من الدخول، ولم يحصل أن عشتُ هكذا حال قط، حيث شعرتُ ولأول مرة ـ أني ازور روحًا تسمعني، ووليًا كأنه ينظر لي، فلقد تملكتني عظمته، وأسرتني روحه رغمًا عني...

وحيث دخلت في الصحن الشريف وانا أهم بالدخول إلى الضريح المطهر وإذا بي اسمع صوتًا ليس غريبًا عني يناديني...

ـ يا حسن: المعرفة قبل الطلب، المعرفة قبل الطلب!

التفتت وإذا به الحاج النداف!!!

يا إلهي ما الذي جاء بك؟!

الست في بغداد؟!

ـ فقال لي بلهجته: ليش مشفت المحل معزّل؟!

ـ قلت مندهشًا: يعني أنت هنا من امس!

ـ قال: كنتُ بانتظارك!

ـ طيب ليش ما انطيتني خبر ونجي سوه؟!

ـ هو هيج يريد، تعال احدثك لتعرف وبعدها اذهب واطلب...

جلسنا بأحد أروقة المقام الطاهر وكانت وجوهنا منصرفة نحو القبر الطاهر وشرع قائلًا:

ـ القاسم . يا ولدي . هو أحد أعظم أولياء الله، وخزان علمه، وهو باب من ابواب الفيوضات الإلهية، وقد كان أساتذتنا يوصونا كثيرًا بزيارته، والتوسل بمقامه عند الله تعالى، وهو كما تعرف ابن الإمام المظلوم موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام، وكان من الأولياء الصالحين في زمانه، وقد شهد له الجميع بمقامه العظيم، ومنزلته العالية، وهو بعد اخيه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام بالفضل والمنزلة، وقد كانت ولادته على نحو التقريب سنة (١٥٠ هـ) أي انه عاصر المنصور الدوانيقي، والمهدي العباسي، وموسى الهادي، وهارون الرشيد، ولما تولى هذا الاخير الحكم اصدر مرسومًا ملكيًا

بإخراج ابناء الإمام علي عليه السلام من بغداد، بل وتعذيبهم وقتلهم، فخرج الكثير من رجال العلويين إلى مختلف البقاع، وكان ممن استهدفه هارون هذا العبد الصالح عليه السلام فخرج من مدينة جده صلى الله عليه وآله كخروج موسى بن عمران كليم الله ورسوله، حيث رافق بعض القوافل التجارية متجها شرق الحجاز قاصدًا قبر جده أمير المؤمنين عليه السلام وبينما هو يمشي محاذيًا لشاطئ الفرات، وإذا ببنتين تتزودان الماء من النهر، وكانت احداهن تقول لصاحبتها: (لا وصاحب بيعة الغدير ما كان الأمر كذا وكذا...) فعرف من منطقها أنها موالية لأهل البيت عليهم السلام فقال لها: من تعنين بصاحب بيعة الغدير؟

فقالت: اعني الضارب بالسيفين، والطاعن بالرمحين، ابا الحسن والحسين علي بن ابي طالب عليه السلام.

فقال لها: هل لك ان ترشديني إلى رئيس هذا الحي؟

قالت: نعم ان ابي كبيرهم.

فمشت ومشى القاسم امامها، ومكث ضيفًا على ابيها ثلاثة ايام، ثم قال بعدها لشيخ العشيرة: (يا شيخ اني سمعت ممن سمع منهم رسول الله صلى الله عليه وآله ان الضيف يمكث ثلاثًا وما زاد عن ذلك يأكل صدقة، واني اكره أن آكل الصدقة، واني أريد ان تختار لي عملًا اشتغل فيه لئلا يكون ما آكله صدقه)

فقال له الشيخ: اختر لك عملًا.

فقال له القاسم: (اجعلني على سقاية الماء في مجلسك!)

فكان كلما ذهب لسقيهم وقف على الفرات وتذكر عطش جده الحسين عليه السلام ويبكي...

❁ وهنا سالت دموع الحاج النداف على خديه وهو يردد: الماء... الماء... الماء

وبعد مدة زوَّجه شيخ القبيلة ابنته بعد ان رأى انه كان يقضي الليل في التهجد والعبادة، والنهار بسقي العرب في ديوانه...

وقد رزقه الله بنتًا وقد بقي مدة ثم مرض مرضًا شديدًا فلما دنا اجله جلس الشيخ عند رأسه وقال له: ولدي من أي البلاد انت؟! وما عشيرتك؟!

قال له القاسم: انا من مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله انا القاسم بن الإمام موسى بن جعفر، فلطم الشيخ على رأسه وقال: وا حيائي من ابيك موسى بن جعفر، فقال له القاسم: لا بأس عليك يا عم، انك اكرمتني، وانك معنا في الجنة ان شاء الله... وبعد وصيته قضى نحبه (سلام الله عليه) ودفن هنا...

من اللطيف في قصة هذا العبد الصالح شبهها بقصة كليم الله موسى بن عمران (على نبينا وآله وعليه السلام) وفيها إشارات، ولطائف، وحقائق لا يسع الوقت لبيانها، يلتفت إليها كل ذي بصيرة... والآن يا حسن قم واطلب مرادك من مولاك الغريب...

- وكيف اطلب مرادي؟!

- زر الجامعة الكبيرة وقل....

وقفت امام سيدي ومولاي وقلت:

سيدي القاسم السلام عليك ورحمة الله وبركاته...

مولاي انا غريب في ربوع نفسي الامارة بالسوء فارجعني إلى ربي ببركاتك...

انا واقف على شاطئ فرات الحقيقة ولكني عطشان فاسقني شربة لا اضمأ بعدها أبدًا...

انا ضيف عندك فاجعلني على سقاية روحي بماء وصلك...

اسالك ان تعينني على نفسي وان تساعدني على هدم أصنامها بحرمة اجدادك عندك....

■ ■ ■

أول الطريق

بعد اتمامي الأحد عشر يومًا التي اعطاني الشيخ يقظان برنامجها اصبحت اشعر بشفافية عالية، وتوجه كبير، نحو العبادة، والاشتغال بالطاعات، وها انا اتمُّ الشرطين. زيارة مولاي القاسم عليه السلام واتمام البرنامج. قصدت مسجد فاطمة، وكُلي شوق للقيا ذلك العبد الطاهر، والروح الملكوتيَّة عسى أن يفيض عليَّ من أنوار الطريق لأهتدي بها في رحلتي الجميلة هذه...

دخلت المسجد وكانت قُبيل صلاة المغرب وكانت ليلة الجمعة، وقد اكتض بالمصلين ومن بين تلك الجموع وقعت عيني على ذاك الملاك الجميل جالسًا في مكانه المعتاد حيث الزاوية النورانية المشرقة، لقد كنت متأخرًا قليلًا والأذان على وشك أن يُرفع... سلمت عليه وقد رحب بي والابتسامة ملئ وجهه وهو يقول:

حياك الله... حياك الله، تقبل الله زيارتك.

- سيؤذن الأذان، دعنا نصلي خلف الشيخ وبعدها هناك تعزية نحضرها وبعدها نتكلم...

وقفت إلى جانبه وقد تملكتني رهبة شديدة وقد ارتعدت فرائصي من هيبته فلقد احسست انه انقطع تمامًا في الصلاة وقد سرى من خشوعه لا اراديًا إلى قلبي، فأحسست اني اصلي صلاة خاشعة لأول مرة في عمري، وبعد إنتهاء الصلاة قام سيد خطيب بإرتقاء المنبر وكانت محاضرته حول (مناقب سيدنا ومولانا ابي الفضل العباس عليه السلام) وكان مما ذكر قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (كان عمّي العبّاس بن علي عليه السلام نافذ البصيرة، صُلب الإيمان، جاهد مع أخيه الحسين، وأبلى بلاءً حسنًا، ومضى شهيدًا) وقد نقل كلمة عن أحد العلماء العارفين وهو السيد علي القاضي انه سمع قائلًا في عالم الأسرار يقول له: (ان العباس سيد أولياء هذه النشأة) وبعدها عرَّج على قراءة مصرعه الشريف فبكى الحاضرون جميعًا وكان مجلسًا عظيمًا، شعرت بأن روحي تحلق في عالم كله أنس وراحة وقد اغمضت عيني ولم اشعر بما حولي حتى ربت الشيخ يقظان على متني قائلًا: (بُني حسن هذه هي مجالس الحسين رياض حياة القلوب) ثم قال لي لنخرج فقد انفض المجلس...

خرجنا نسير في الشارع وقد ظننت انه سيؤجل ما اراد قوله لي...

قال: ما دمنا نمشي اشتغل بالذكر

- شنو اقول؟!

- أكثر من الصلاة على محمد وآل محمد فهي أفضل من التهليل والتحميد والتسبيح...

* وصلنا إلى محل الحاج النداف وكان مغلقا فقال:

ـ ما دام ما تكلمنا في المسجد فلا يوجد بعد المسجد في هذه المنطقة مكان افضل من دگّة حجي سعد...

نظر إلى السماء قليلًا بعينين يفيضان بالحنان والشوق وسط ابتسامة حب وانشراح اسارير وجه كأنه يرقب شيئًا في سماء الله العظيمة ثم انشأ يقول:

مَتَى يا كِرَام الْحَيِّ عَيْنِي تَرَاكُم وَأُسْمِعَ مِنْ تِلْكَ الدِّيَارَ نداكمُ
وَيَجْمَعُنَا الدَّهْرُ الَّذِي حَال بَيْنَنَا وَيَحْظَى بِكُمْ قَلْبِي وَعَيْنِي تَرَاكُم
أَنَا عَبِدَكُمْ بَلْ عَبْد عَبْد لعبدكمُ وَمَمْلُوكُكُمْ مَنْ بِيَعَكُمْ وشراكمُ
كُتِبَتْ لِكُمِّ نَفْسِي وَمَا مُلِكَتْ يَدِيُّ وَإِنْ قَلَّتِ الْأَمْوَالُ رَوْحَيُّ فداكمُ

وجرت دموعه على خديه وانشد ابياتًا اخرى ثم مسح دموعه واعتدلت جلسته على دكة المحل وقال:

الطريق إلى الله تعالى فيه مراتبٌ ومنازلٌ ومقاماتٌ، بل هو أودية وقلاع وبحار وجنان ولا اود ان اشرحها نظريًا لك فسيأتي اليوم الذي تعرف فيه هذه الأمور لكن ما يعنيني ان تراه بعين قلبك وتذوقه بلسان حالك... ولذلك لا احب شرحه لك...

وأعلم أن اول خطوة بعد اليقظة والتوبة وهما عندك ان

تدخل في منزل التبصُّر الذي قال عنه مولانا مولى الموحدين عليه السلام: (من اراد الله به خيرًا بصَّره عيوبه)

- وهذا المنزل شلون ادخل بيه؟!

- خذ ورقة وقلم، واجلس مع نفسك، واسألها: كم ملكة سيئة عندي؟! وفكِّر وفكِّر ثم اجرد واكتب.

- شيخنا ما فهمت!

- جيب ورقة وقلم واكعد بمكان وحدك واكتب بالورقة الذنوب اللي تسويهن يوميا أو بين يوم ويوم أو بالاسبوع مرة مرتين....

- بس اكتب؟!

- أي هسه بس تكتب... الخطوة الأولى لازم تشخِّص الملكات والمعاصي (اعرف الأصنام ثم حطمها يا إبراهيم) مثلًا:

عندك كسل؟

عندك غرور؟

هل لديك تقصير بصلاة الصبح؟

هل أنت هاجر للقرآن الكريم؟

هل أنت عصبي؟

هل لديك ميل للنظر المحرم؟

هل لديك تهاون بأوقات الصلاة؟

عقوق والدين؟

قطيعة رحم؟

هل لديك علاقات محرمة؟....

اذهب واكتب ذلك بورقة، تأمل بخبايا نفسك ولا تعتقد من اول جلسة انك ستعرف كل الملكات.

لذلك اجلس مع نفسك يوميا لمدة ساعة وتأمل بما قلته لك لعشرة ايام وبعدها تعال لي...

■■■

الخطوة الأولى

حيث طلب مني الشيخ يقظان ان اكتب ملكاتي السيئة بورقة، وقال لي لا تستعجل في ذلك واعطاني مدة قدرها عشرة أيام بأن اجلس مع نفسي واتأمل في أحوالها... سعيت جاهدًا ان اكتب ما عرفته وذلك من خلال الالتفات إلى تصرفاتي...

خرجت في اليوم الأول إلى الجامعة وحيث اني كنت مستعجلا في الخروج خوف ان يضيع الوقت والتأخر عن المحاضرة.. مشيت بسرعة في سيارتي وقد صرت في موقف محرج مع أحد سائقي السيارات فصرت بحالة من الغضب والعصبية فنطقت بكلمة قاسية عليه!

حينها سمعت صوتا واضحا يقول لي: هاي وحدة!

التفتت من صاحب الصوت فلم ار احدا عرفت انه صوت غيبي ثم انتبهت إلى أن الأستاذ قال لي اجرد ملكاتك!

فاخرجت قلمي ودفتري وكتبت:

١ . الغضب والعصبية

اكملت طريقي وانا اعيش حالات من الندم واللوم...

الى متى يبقى الإنسان غارقًا بهذا المستنقع الضحل؟!

هل يمكن للإنسان ان يصل إلى هذا المستوى العالي من الصفاء والنورانية والطهارة التي عند الحاج النداف والشيخ يقظان؟!

وصلت إلى الجامعة وركنت سيارتي في مرآبها ودخلت كعادتي إلى حيث مكان دراستي...

- لم اكن اتمالك نفسي عند النظر إلى النساء!

وبمجرد دخولي إلى باحة القسم وقعت عيني على إحدى النساء المتبرجات وبمجرد ان نظرت إلى مفاتنها تذكرت عبارة الحاج النداف التي سمعتها منه يوم رجعنا من زيارة القاسم:

(اللي يشوف الكاع ما يشوف السماء، واللي يباوع على السمك ما يشوف الطيور... الفوك فوك والجوَّه جوَّه، ركز نظرك على غايتك!)

حينها عرفت ان هذه ملكة سيئة فكتبت

٢ . النظر المحرم إلى النساء

- اثناء إحدى المحاضرات أذن المؤذن فقالت طالبة تدعى زينب للدكتور: دكتور ممكن اطلع اصلي؟!

قال لها: تفضلوا

بعد خرجت صرت افكر بنفسي، كم مرة استهزأت بهذه الطالبة حين كانت تستأذن للخروج إلى الصلاة وكم مرة اغتبتها

امام سامر ومنير وتمارة والان الأيام تثبت لي انني كنت واهمًا وان هذه الطالبة تمتاز بشجاعة قوية وهي اشجع مني بكثير حيث لم تفوت اوقات الصلاة...

حينها اخرجت دفتري الصغير خلسة وكتبت

٣ . التهاون بأوقات الصلاة

بعد انتهاء المحاضرات صادفتني بممر القسم زينب خارجة إلى الكراج

- السلام عليكم

- عليكم السلام

- اني اريدك تبريني الذمة، قبل كنت استهزئ بيك، اكول المحاضرة اهم من الصلاة والظاهر اني كنت متوهم!

- اكو أهم من لقاء الله؟!... الصلاة معراج المؤمن وموعد اللقاء، المهم مبرئ للذمة اخي

وانصرفت....

(كان ردها علي عميقا ونبرة صوتها الرسمية تستبطن حياءً وعظمة بنفس الوقت...)

وزينب هذه من أكثر الطالبات المتفوقات في كلية الطب وهي تدرس معنا بكامل حجابها مع انها تمارس حياتها العلمية بمنتهى العمق فتقرر المحاضرات، وتجيب على الاشكالات، وتعيش بعالم مثالي وسط عالمنا المادي، وحيث يعتقد اغلب

الطلبة انها معقدة ومنطوية الا ان زميلتها تمارة . التي هي زميلتي أيضًا . تقول انها منشرحة الصدر وطيبة ومؤمنة، وهي من عائلة فقيرة ومتدينة جدا في مدينة الصدر

رجعت إلى البيت متعبا وقد اسلمت نفسي للنوم وفي المنام رأيت نفسي امسك ثلاثة اقلام وعدة اوراق وقد التقيت بالحاج النداف وقال لي اكسر هذه الاقلام وعليك ان تجد الاقلام الاخرى واياك ان تكتب بها شيئا!

لم انتبه الا على اتصال عمار...

- الو

- هلو عمار حبيبي شلونك؟

- شنو نايم؟ ما تطلع اليوم؟

- لا عيني ما اطلع اخذوا راحتكم، نتشاوف غير وكت

- اوك، اخذ راحتك

في أمان الله

في أمان الله

أغلقت موبايلي وأخذت دفتري الصغير وركبت سيارتي إلى حديقة جميلة باحد المناطق، اخذت مكانا فيها

وبدأت الجلسة الأولى مع نفسي...

كم ملكة سيئة عندي لا زلت مواظبا عليها؟!

وبدء العد:

١ . التهاون بصلاة الصبح وعدم ادائها احيانا

٢ . ضعف العلاقة مع القرآن الكريم وقد تمر عدة شهور على عدم قراءته

٣ . الكذب احيانا

٤ . سوء الظن بالآخرين

٥ . سوء العلاقة مع والدتي وعدم ذكر والدي . رحمه الله . الا قليلا

انتهت الساعة وانى غارق في بحر اللوم والحزن... يا ترى هذه الجلسة الأولى

اخرجت جهازي وقرأت زيارة الإمام الحسين وذكرت مصابه بالطريقة التي علمني اياها الشيخ يقظان...

■ ■ ■

بستان النفس

بقيت ارتاد هذه الحديقة الجميلة لأجلس مع نفسي ساعةً باليوم لأجرد ملكاتي السيئة التي اقوم بينها بين فينة واخرى وقد جردت خمسة عشر ملكة سيئة وفي الرابع اصابني ملل وتعب واعتقدت انه لا داعي من الاستمرار لستة ايام اخرى فقد جردت كل ما أعرف واصبحت الجلسة بلا جدوى!

فقصدت الحاج النداف لأطرح عليه الفكرة فأن اقتنع ذهبت إلى الشيخ يقظان واخبرته بفعلي...

دخلت إلى محل الندافة وقد وجدت مجموعة من الاشخاص يبدو عليهم انهم من أهل العلم والثقافة وهم يجلسون في محل الندافة المتهالك ويصغون إلى هذا الكهل الذي اختلط بياض وجهه ببياض القطن اما قلبه فلا اعتقد ان شيئا يشبه صفاءه!

ويبدو ان هناك نقاشا يدور بينهم فسمعت الحاج يقول:

(اي مكاشفة، أو مشاهدة، أو معاينة، أو مطلب عرفاني ذوقي مخالف لظاهر الدين، وشريعة سيد المرسلين ﷺ، وثوابت مذهب أمير المؤمنين عليه السلام نضرب بها عرض الجدار

ونعتبرها باطلة مطلقا، ولذا لا بد ان يكون الكشف والشهود مطابقا للشريعة تماما، وهذا ما عليه العرفاء الحقيقيون عبر تأريخ هذا العلم الجليل، وكل من يدعي خلاف ذلك فهو واهم ومحجوب، بل ان من يهزأ بالشرع أو بمسائل الدين محجوب وليس منا!)

- قال له احدهم وهو يرتدي ملبسا رسميا: وإذا تعارض العرفان النظري مع ظواهر الشريعة؟!

- كما ان العرفان العملي يجب ان يطابق الشريعة فكذلك العرفان النظري والا فنطرح أي مسألة لا تتوافق مع الشريعة وظاهر الأحكام...

- ثم قام الشيخ النداف ووزع الشاي بيديه وقال واقفا وهم جلوس..

(بويه ليش تتعبون هو كل ما يتكامل ابن ادم وقلبه يطهر راح يشتد بصره المعنوي ويتنزه عن الخطأ فما ينحرف وهذا اللي جان يسمونه العرفاء [المزاج الروحاني الأعدل] فأي شي يراه العبد ويكون مخالف للشريعة فهذا معناه بعده مريض...)

ثم تناولوا مسائل اخرى، ولم اكن اتصور ان الحاج بهذا العمق العلمي الرصين فقد تناول المدارس الفلسفية القديمة والحديثة وصار يناقشها بتفصيل ودقة عجيبة إلى أن انفض المجلس وانصرف الحضور وبقيت جالسا فالتفت الي وقال:

- شلونك بويه؟

- الحمد لله، حجي بخير

ففاجئني بقوله: اليدك الباب بهدوووء ما يفتحوه له، يكولون هذا طفل هسه يروح، واليمل ما يوصل لمعرفة الحقيقة، [الحقيقة يرادلها زلم] زلم أهل صبر يكولون هاي ضلتنه ببابج!

- حجي اني صارلي اربعة ايام بس اكتب واصفن وبعد عدي ستة ايام وما اعتقد اكو شي ما عرفته!

- ضحك ضحكة سحرية وكأن اسنانه حبات اللؤلؤ وقد تناثر شذى عبيرها في الأرجاء... ثم اعتدل وقال:

- إذا وكفت تنظر لبستان بعد ٢ كم شراح تشوف؟!

- الاشجار غير...

- راح تشوف الاشجار العالية الموجودة بالبستان

واذا اقتربت راح تبدي تشوف اشجار طولها وسط صح؟!

- صح

- كلما تقترب راح تشوف أكثر، إلى أن توصل لباب البستان راح تشوف الجدار والاشجار ووو

- اما إذا دخلت بالبستان فراح تشوف الانهار والسواقي والثمار المتساقطة والاشجار الصغيرة والأمور الصغيرة صح بويه لو لا؟!

- صحيح حجي

- وهذا نفسه حال معرفة عيوب النفس!

انت حاليا تنظر لنفسك من بعيد فتشوف بس هذه الملكات وتعتقد انها فقط اللي عندك ولكن كلما تقترب من بستانها راح تشوف ملكات أكثر متغطية تحت الاشجار الكبيرة

ولذلك لا تستعجل، ارجع لبرنامجك وكمل العشرة ايام!

وقعت كلماته على قلبي كالماء البارد، وازدادت همتي اضعافا مضاعفة، صرت اتردد على حديقة خلوتي إلى أن اتممت الأيام العشرة مع الذكر الذي اعطاني اياه الشيخ يقظان وها انا استعد لزيارته.

■ ■ ■

جلسةُ توبة

رأيت في المنام رؤيًا متعبة وهي أني أحمل كيسًا ثقيلة على ظهري، وقد أتعبني حملها، وكنت احمل الكيس على ظهري مع ان عددا من الاشخاص يمشون، ولكن لم يساعدني احد...

قضيت هذا اليوم في البيت بيت التحضير لامتحان شهري وقراءة حزب من القرآن الكريم. كما أمرني الشيخ يقظان. وعصرا هاج بي شوق عظيم له، لا أدري ما سببه، مع ان موعد لقائه بعد صلاة المغرب الا انه اعتورتني حالة انجذاب شديدة نحوه...

خرجت من المنزل بحدود الساعة الرابعة عصرًا متجهًا نحو مسجد فاطمة عليها السلام مع يقيني انه يُفتح بعد الساعة الخامسة والنصف، فقلت في نفسي: ان رأيت المسجد مغلقا، اذهب للحاج النداف...

وصلت إلى المسجد وإذا بي اتفاجآ بأن الباب مفتوح بمقدار كف ولا يوجد احد..

دفعت الباب بيدي ودخلت باحة المسجد وجددت وضوئي

ودخلت الحرم وإذا بي اجد الشيخ يقظان ويحيط به سبعة انفار...

نظر اليَّ بإبتسامة سلبت مجامع قلبي، والقت بروحي على دكة الوصال، وكأن لقاء العاشقين موتهم وحياتهم، من هذه النظرات عرفت معنى الحب

تلك اللغة العظمى التي لا تحتويها الحروف والكلمات والجمل، ولا تعبر عنها الجوارح والافعال، انه معجزة الله في القلوب

- تعال تعال يا حسن مشتاقين!

- السلام عليكم

- عليكم السلام والرحمة... جميعهم

[حدقت في وجوههم لم أعرف احدا الا اني سبق ان رأيت هذا الشاب ذا الطلعة النورانية، اعتقد سبق ان رأيته في كلية التربية ذات يوم، وهو يطرق برأسه حين المشي، وهناك شخص خمسيني كانت الدموع على خديه، وبساطة الملبس واناقته تزيدانه هيبة]

قال الشيخ يقظان:

فالذنوب أيها الأحبة هي أغلال تربط صاحبها وتعيقه من الحركة نحو الغاية العظمة، والهدف الأسمى، فهي تشبه السلاسل الغليظة [تخيلوا واحد مربوط من رجليه بسلاسل واطراف السلاسل الآخرى مربوطة باثقال حديدة كبيرة هذا

شلون يمشي؟!] ومن هنا يصف مولانا مولى الموحدين هذا الحال بقوله: (اللّهُمَّ عَظُمَ بَلائِي، وَأَفْرَطَ بِي سُوءُ حَالِي، وَقَصُرَتْ بِي أَعْمالِي، وَقَعَدَتْ بِي أَغْلالِي وَحَبَسَنِي عَنْ نَفْعِي بُعْدُ أَمَلِي، وَخَدَعَتْنِي الدُّنْيا بِغُرُورِها، وَنَفْسِي بِخِيانَتِها)

* قرأ الشيخ هذه المقطوعة بصوت حزين ودوع جارية فبكوا جميعا وانا وسط هذا الجو الملائكي شعرت بأني في عالم ثاني من الصفاء والنقاء والجمال وبلا سيطرة على نفسي سالت مني دموع حارة لم اعهدها من قبل...

ثم صار الشيخ يردد: إلهي العفو.. إلهي العفو.. إلهي العفو

ثم قرأ هذه الأبيات:

يا رَبِّ إن عَظُمَت ذُنوبي كَثرَةً ... فَلَقَد عَلِمتُ بِأَنَّ عَفوَكَ أَعظَمُ

إن كانَ لا يَرجوكَ إلّا مُحسِنٌ ... فَبِمَن يَلوذُ وَيَستَجيرُ المُجرِمُ

أَدعوكَ رَبِّ كَما أَمَرتَ تَضَرُّعًا ... فَإِذا رَدَدتَ يَدي فَمَن ذا يَرحَمُ

ما لي إِلَيكَ وَسيلَةٌ إلا الرَّجا ... وَجَميلُ عَفوِكَ ثُمَّ أَنّي مُسلِمُ

ثم التفت الي الشيخ وقال: ان الذنوب أشبه بأحمال ثقيلة، يحملها الإنسان على ظهره ولا يساعده أحد فيها قال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

- هي الملكات السيئة مجرد التفكير بيها مزعج فشلون إذا واحد يشيلها على ظهره!

وقع هذا الكلام كالصاعقة على رأسي وكأن الشيخ رأى الرؤيا معي...

* أطرق الشيخ برأسه قليلًا ثم قال: سلمان المحمدي مثل ما تعرفون عارف كامل وولي صالح ورحلة عشقه جدا عظيمة، المهم لمن صار والي على المدائن كلشي ما جاب وياه بس مصلايته وابريق الوضوء، في يوم من الأيام صارت زلزلة أو شي من هذا القبيل في المدائن فالناس حارت باغراضها وخرج سلمان لوحده وهو يقول: هكذا ينجو المخففون يوم القيامة...

ثم قرأ بعض مقاطع مناجاة التائبين:

(إلهي أَلْبَسَتْنِي الخَطايا ثَوْبَ مَذَلَّتِي، وَجَلَّلَنِي التَّباعُدُ مِنْكَ لِباسَ مَسْكَنَتِي، وَأَماتَ قَلْبِي عَظِيمُ جِنايَتِي، فَأَحْيِهِ بِتَوْبَةٍ مِنْكَ يا أَمَلِي وَبُغْيَتِي وَيا سُؤْلِي وَمُنْيَتِي، فَوَعِزَّتِكَ ما أَجِدُ لِذُنُوبِي سِواكَ غافِرًا، وَلا أَرى لِكَسْرِي غَيْرَكَ جابِرًا، وَقَدْ خَضَعْتُ بِالإِنابَةِ إِلَيْكَ وَعَنَوْتُ بِالاسْتِكانَةِ لَدَيْكَ، فَإِنْ طَرَدْتَنِي مِنْ بابِكَ فَبِمَنْ أَلُوذُ، وَإِنْ رَدَدْتَنِي عَنْ جَنابِكَ فَبِمَنْ أَعُوذُ، فَوا أَسَفاهُ مِنْ خَجْلَتِي وَافْتِضاحِي، وَوا لَهْفاهُ مِنْ سُوءِ عَمَلِي وَاجْتِراحِي، أَسْأَلُكَ يا غافِرَ الذَّنْبِ الكَبِيرِ وَيا جابِرَ العَظْمِ الكَسِيرِ، أَنْ تَهَبَ لِي مُوبِقاتِ الجَرائِرِ، وَتَسْتُرَ عَلَيَّ فاضِحاتِ السَّرائِرِ، وَلا تُخْلِنِي فِي مَشْهَدِ القِيامَةِ مِنْ بَرْدِ عَفْوِكَ وَغَفْرِكَ، وَلا تُعْرِنِي مِنْ جَمِيلِ صَفْحِكَ وَسَتْرِكَ)

وبهذا الجو الملكوتي من البكاء انتقل بنا إلى مصيبة كربلاء فقال:

كلمة واحدة في مصيبة كربلاء تكفي للإنسان ان يبكيها طوال عمره!!

أتعرفون ما هي؟!

أتعرفون ما هي؟!

وقفت زينب بنت علي على جسد الحسين وقال:

أأنت الحسين؟!

أأنت أبن والدي؟!

فارتفع البكاء وضج المكان بالعويل والنحيب...

وهكذا انتهت الجلسة فقمنا إلى باحة الحرم حيث بدأ المصلون بالدخول وجاء شيخ المسجد وهو من محبي وطلبة الشيخ يقظان كما عرفت من كلامه وفي هذه الاثناء دار بيني وبين الشاب . محمد جواد . هذا الحوار:

- السلام عليكم

- عليكم السلام حبيبي

- اني وين شايفك؟!

- يمكن بالجامعة لأن اني هم شايفك

- اني حسن من كلية الطب

- واني محمد جواد من كلية التربية!

ـ ما شاء الله، يعني أنت تلميذ عند الشيخ!

ـ لا ما اصلح لقب تلميذ، جالس باعتاب المحبين، بلكي تلوحني شرارة من نار قلوبهم، والا ويني وين التلمذة...

قال هذه الكلمات واختنق بعبرته، ثم قال بسرعة تعال اعرفك على اخونا ابو زينب وهو من قدامى تلاميذ الشيخ يقظان..

ثم استطرد سريعا..

بالمناسبة ابو زينب بنته تدرس بكلية الطب وياكم، اهلهم بمدينة الصدر!

ـ وسط ذهول واستغراب... ها!!!!!!!!

ـ أي زينب يوسف من انبغ طالبات الكلية، اكيد تعرفها؟!

ـ شلون ما اعرفها زميلتي بنفس القاعة...

ـ صدك لو گال الحجي: الله يلم اهله لم...

وسط هذا الحوار الغريب وإذا بالآذان يرتفع اصطففنا للصلاة وانا في حيرة من الأمر زينب التي اعتبرها قديسة ملكوتية أو انثى ملائكية يكون ابوها تلميذ أستاذي، عجيبة اقدار الله تعالى لعل هناك سر خفي لا نعلمه...

ـ انتهت الصلاة وتفرق الناس وإذا بصوت الشيخ يقظان بنبرة غاضبة...

ـ حسن: بالصلاة خلي فكرك يم الله، خلق الله يشغلوك... تعال نطلع نتمشى

* خرجنا وكأن جمال الدنيا يصطحبني وانا اعيش لحظات عظيمة بجوار هذا الرجل الرباني فقال لي بصوت هادئ

ـ جردت الملكات؟!

ـ نعم اكيدا...

ـ أريد منك تروح ترتبهن من الملكة البسيطة الي تعتقد انك تكدر تعالجها بسرعة إلى الملكة الاصعب...

ابقى على هذا الترتيب ثلاثة ايام وأكثر من (يا معين) واترك ذكر (يا بصير) وبعد ثلاثة ايام تعال لي...

تمام شيخنا

في أمان الله...

في أمان الله...

■ ■ ■

روح الحياء

جلست في أحدى حدائق الجامعة، وأمامي دفتري الصغير الذي إعتبرته بمثابة (صحيفة أعمالي)، ولدي فيه أكثر من عشرين ملكة سيئة تجرني إليها نفسي جرا، وتحدو بي روحي إليها حدوا... فتلبدت على سماء قلبي سحابة حزن كئيبة...

يا ترى أيعقل أني الذي أنتمي لأشرف دين، وأعظم مذهب لدي كل هذه المعاصي؟!

أيعقل وأنا الذي أسمتني امي حسنا لدي كل هذه الملكات غير الحسنة؟!

أيعقل أني قضيت سنوات طوال في الغفلة، والأن لما انتبهت...

أخرجت مسبحتي الألكترونية وكررت [يا معين] ثم تذكرت قول سيدي ومولاي الإمام زين العابدين السجاد عليه السلام:

(أَنَا يا رَبِّ الَّذي لَمْ اَسْتَحْيِكَ فِي الْخَلاءِ، وَلَمْ أُراقِبْكَ فِي الْمَلاءِ، اَنَا صاحِبُ الدَّواهِي الْعُظْمى، اَنَا الَّذي عَلى سَيِّدِهِ اجْتَرى، اَنَا الَّذي عَصَيْتُ جَبّارَ السَّماءِ، اَنَا الَّذي اَعْطَيْتُ عَلى

مَعاصِي الْجَليلِ الرُّشا، أَنَا الَّذي حينَ بُشِّرْتُ بِها خَرَجْتُ إليها أَسْعى، أَنَا الَّذي أَمْهَلْتَني فَما ارْعَوَيْتُ، وَسَتَرْتَ عَلَيَّ فَما اسْتَحْيَيْتُ، وَعَمِلْتُ بِالْمَعاصي فَتَعَدَّيْتُ، وَأَسْقَطْتَني مِنْ عَيْنِكَ فَما بالَيْتُ، فَبِحِلْمِكَ أَمْهَلْتَني وَبِسِتْرِكَ سَتَرْتَني حَتّى كَأَنَّكَ أَغْفَلْتَني، وَمِنْ عُقُوباتِ الْمَعاصي جَنَّبْتَني حَتّى كَأَنَّكَ اسْتَحْيَيْتَني)

فسالت دموعي عل خدي، وشعرت بإنكسار شديد، وندمت كثيرا على غفلتي، ثم شرعت أتأمل ملكاتي السيئة وغير السيئة (وهي التي ليست من صفات المؤمن) وانظر الي اسهلها كما أوصاني الشيخ يقظان بأن أرتبها من السهل إلى الصعب...

نظرت مليا إلى ملكاتي، ياترى ما أسهل ملكة... الغضب، الكسل، النظرة المحرمة، الكذب، الغيبة، عدم العناية بالوالدين، هجر القرآن، كثرة النوم، الغرور، العُجب، سوء الظن، أصدقاء السوء، كثرة القسم....

فقلت ان اسهل ملكة هي كثرة القسم ثم هجر القرآن ثم كثرة النوم، ثم النظرة المحرمة وهكذا صرت ارتبها شيئا فشيئا وبعد ان رتبت ثمان صفات منها وإذا بمنير يضع يده على متني من الخلف ويقول:

- ها السلام عليكم حسن

- عليكم السلام عيوني

- شلونكم؟!

- حبيبي بخير

ـ تروح وياي، العمادة مسوين احتفال بمناسبة المولد النبوي ولغوا المحاضرات لمدة ساعتين ومستضيفين أحد رجال الدين يلقي محاضرة وكلمة لأحدى الطالبات...

تعال تعال نروح للقاعة

ـ ماشي توكل على الله...

دخلت إلى القاعة وقد امتلئت بالطلبة، ويجلس في المقدمة رئيس الجامعة، وعميد الكلية، والأساتذة مع الضيوف حيث يتوسطهم رجل دين بهي الطلعة، جميل المحيا في لحيته سواد مشوب ببياض...

بدأ الاحتفال بآيات من القرآن الكريم ثم كلمة رئيس الجامعة ثم قال عريف الحفل والآن مع كلمة طلبة كلية الطب تلقيها علينا الطالبة زينب يوسف أنور

ـ وهنا شعرت بشيء لم يخطر على بالي استطيع ان اسميه انشداد روحي أو جذبة معنوية أو ما شئت فعبِّر...

تخللت الصفوف بعبائتها الزينبية وحجابها المحتشم في طريقة مشية لم اعهد ان رأيت مثلها مع رأس مطرق إلى الارض حتى إذا ارتقت المنصة القى الله عليَّ حياءً فلم اقو على النظر إليها. مع انها زمليتي منذ سنتين. وقد شعرت شعورا غريبا بأنني لو تمعنت بالنظر إليها لكنت من الغاوين!

لم تكن الكلمة اعتيادية فقد كانت. على الأقل بالنسبة لي. تتخلل معانيها قلبي كالشهاب وسط الظلام!

قالت: (إننا مدعوون إلى التخلق بأخلاق صاحب الذكرى، ومعلمنا الأول، رسول التوحيد، ونبي الحقيقة، ورجل العبودية الأكمل ﷺ وإن من أعظم صفاته الأخلاقية، ومناقبة الربانية هي انه كان كثير الحياء! وفي هذه الأثناء بالضبط رن جرس الهاتف بوصول رسالة sms من الشيخ يقظان مكتوب فيها [حب الحق حياة الروح]!!!!!

يا إلهي ما هذه الصدفة العجيبة وماذا يعني الأستاذ برسالته!!!

تمالكت نفسي واستمر استماعي إلى كلمتها فقالت: (وقد ورد أنه ﷺ كان أشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئا عرف الصحابة من وجهه، وقد ورد في بعض المواضع قوله: [استحييت من ربي]...)

كانت الكلمات تأسر مجامع القلوب، وتسلب جوهر الأرواح، يفوح شذى عطرها في أرجاء المكان، وكأن الهيمنة التي تمتلكها هذه الفتاة تأتي من عالم آخر غير عالمنا...

أنهت زينب كلمتها ورجعت لمكانها وقد تم استقبال الضيف بحفاوة وشرع في كلمته التي تناولت مفصلا سيرة الرسول الأعظم ﷺ في مدة شبابه وكانت كلمة قيمة ونافعة ثم انتهى الحفل وتفرق الجمع وخرجت وانا اعيش حالا غير حال وروحا تشعر بالتأخر في هذا السباق الملكوتي العظيم، يا ترى أين كنت من كل هذه الأجواء؟! وهل نفعتني سنوات التسكع والغفلة؟! وبينما انا اشق طريقي في الممرات، وإذا بي اسمع صوت يقابلني...

ـ السلام عليكم حسن

ـ عليكم السلام أهلا تمارة، شلونكم

ـ شفت الحياء النظري والعملي؟!

ـ أي والله شفته، ما شاء الله على زينب، حشمة، وأخلاق، ووقار، وبلاغة، وثقافة، الله يحفظها لأهلها، وأنت أيضًا ما مقصرة طيبة وواعية

ـ أشكرك، من ذوقك

انتهى هذا اليوم الجامعي ورجعت إلى البيت وانا اشعر انني بدأت حياةً جديدة بدأت ملامحها تلوح بالأفق وفي الطريق اتصلت بالحاج النداف واخبرته باشتياقي ورغبتي بلقائه فأخبرني انه ينتظرني اليوم بعد صلاة المغرب والعشاء في بيته، وعصرا خرجت إلى الحديقة واتممت ترتيب الملكات من الأسهل إلى الاصعب فلدي لقاء مهم بعد يومين مع أستاذي وحبيبي الشيخ يقظان الذي أرسله الله لي في تلك الليلة المظلمة لينتشلني من الظلمات والغواية إلى النور والهداية...

وفي طريقي مررت على أحد الافران لأشتري صمون حيث طلبت مني والدتي وحيث انا في الطابور انتظر دوري وقع نظري على صورة معلقة في الفرن...

[يحترقُ الصمونُ بالنار فيصبحُ لذيذًا، وتحترق الروحُ بالحب فتصبح ملكوتيةً]

حرف الحاء

أقمت صلاة المغرب والعشاء في البيت وخرجت إلى الحاج سعد النداف تلبية لدعوته لتناول العشاء عنده، وصلت إلى باب البيت فاستقبلني بحفاوته البالغة، وروحه المنشرحة، وقد وجدت عنده مجموعة من الضيوف أغلبهم شباب عليهم سيماء الصالحين، وشمائل المؤمنين وصار يعرفني عليهم حيث ان بعضهم من بغداد وبعضهم من محافظات أخرى وحيث استقر بي المقام وقُدم لي الشاي، قال الحاج:

(نكمل حديثنا بويه، يكولون ان حرف الحاء فيه أسرار كثيرة، وهو من الصوامت، وقيمته ثمانية، وهو حرف نوراني، فيه أسرار تتعلق بتسكين الروح، وطمأنينة القلب، وما يخفى عليكم ان هناك سور في القرآن تسمى الحواميم لأنها تبدأ بـ [حم] ويقال ان [آل حم هم آل محمد) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وفي السور الحواميم أسرار عجيبة، وأمور غريبة، هي أكبر من أن يسعها أو يحيط بها معدمون أمثالنا...)

ثم قال: كم أسم من أسماء الله تعالى يبدأ بحرف الحاء؟!

- الحق، الحكيم، الحكم، الحافظ، الحليم، الحميد، الحنان،....

ثم التفت إلى الحضور فقال: أعطوني كلمات مباركة تبدأ بحرف الحاء؟!

فشرعوا يقولون: الحياة، الحب، الحمد، الحشر، الحديد، الحساب، الحوقلة، الحلال والحرام، الحرث، الحياء، الحشمة، الحمية، الحظ، الحسنى، الحزن، الحكمة، الحنان،....

فقاطعهم الحاج بصوت تتخلله عبرة وحزن وقال: الحسن والحسين ثم قال آه حسين آه حسين وسالت دموعه على خده وهو يقول آه حسين وتحول المجلس إلى بكاء وعويل وندبة حتى إذا سكنوا قال:

ولعل من الجمل اللطيفة ذات النورانية والتي تحتوي بكل كلماتها على حرف الحاء هي: **[حبُّ الحقِ حياةُ الروحِ]!!!**

وهنا اصابتني دهشة فقد أرسلها لي الشيخ يقظان اليوم صباحا!!!

وهنا قال الحاج: الائمة وهم سادة الوجود يقولون (الهي بذكرك عاش قلبي) وذكر الله هو عنوان وصاله تعالى

- قال ممازحًا: ما أدري شجابنا على حرف الحاء فهو بالنتيجة خلق من خلق الله تعالى

يكولون ابن المرحوم العارف السيد علي القاضي كان عالما بعلم الجفر وأسرار الحروف والعلوم الغريبة لكن السيد القاضي كان يقول له: بويه هاي العلوم وغيرها تشغلك انصرف لله بس، هاي العلوم حتى لو تكشف لك بعض الخفايا بالنتيجة مو هي المطلوبة، المطلوب الوصول لله ونيل رضاه، العبد خلي يشتغل بخدمة مولاه والحصول على العبودية الحقيقة هاي السوالف تشغل العبد احيانا...

- وهنا تداخل الشباب معه وسألوه عدة اسئلة وصار المجلس كله علم ومعرفة واحاديث ومطالب علمية في شتى المجالات والفنون والعلوم

الى ان قال تفضلوا على عشاكم فقمنا لمكان آخر حيث وجدنا الطعام بأنواعه فتناولنا العشاء ولما رجعنا قال: معرفة أهل البيت هي التي تقود إلى معرفة الله تعالى ولذلك ورد عنهم عليهم السلام: (بنا عُرف الله، بنا عُبد الله...) كما لا يمكن المسير مطلقا بدون محبتهم وولايتهم والانتماء إليهم فهم الحبل الممدود بين الحق والخلق وهم البرزخ النوراني والكلام عن هذا يطول وينبغي ان يكون واضحا عند عامة الخلق فضلا عن خاصتهم، ولقد رأينا مع شديد الأسف بعض الناس اخذه تسويل ابليس الماكر فادعى ان الوصول إلى الله تعالى ممكن بلا وساطة النبي وأهل بيته المعصومين عليهم السلام فتهاوى في الضلال والتيه وواستقر به الحال في وادي الندامة وسقر الخسارة.

ثم أنشد الحاج قصيدة بصوته الشجي:

هـم الـنـورُ نـور الله جـلّ جـلالـه
هم التّين والزَّيتون والشفعُ والوترُ

مـهـابـطُ وحي الله خـزّانُ عـلـمِـه
ميـامـيـن في أبيـاتـهـم نـزل الـذكرُ

وأسـمـاؤهـم مـكـتـوبـةٌ فـوقَ عـرشِـه
ومـكـنـونـةٌ من قـبـل أن يُـخلـق الـذرُ

ولـولاهُـمُ لـم يـخـلـق الـلـهُ آدمـاً
ولا كـان زيـدٌ في الأنـام ولا عـمرو

ولا سُـطِـحـت أرضٌ ولا رُفـعـت سـمـا
ولا طـلـعـت شـمـسٌ ولا أشـرق البـدرُ

ونـوحٌ بـه في الـفُـلـك لـمّـا دعـا نـجـا
وغِـيـض بـه طـوفـانُـه وانـقـضـى الأمر

ولـولاهُـمُ نـارُ الـخـلـيـل لـمـا غـدتْ
سـلامـاً وبـردًا وانـطـفـى ذلـك الـجـمـرُ

ولـولاهُـمُ يـعـقـوبُ مـا زال حـزنُـه
ولا كـان عـن أيـوبَ يـنـكـشـفُ الـضـرُ

ولانَ لـداود الـحـديـدُ بـسـرِّهـم
فـقـدَّر في سَـرْدٍ يـحـيـر بـه الـفـكـرُ

ولـمَّـا سـلـيـمـانُ الـبـسـاط بـه سـرى
أُسـيـلـت لـه عـيـنٌ يـفـيـض لـه الـقِـطـرُ

وسُخِّرت الريح الرُّخاء بأمره
فَغَدْوَتُها شَهْرٌ ورَوْحَتُها شَهرُ
وهم سرّ موسى والعصا عندما عصى
أوامرَه فرعونُ والتُقِفَ السِّحرُ
ولولاهُمُ ما كان عيسى بنُ مريمَ
لِعازرَ من طي اللحود له نشرُ
سرى سرُّهمْ في الكائنات وفضلُهم
وكلُّ نبيٍّ فيه من سِرِّهم سرُّ
علا بهم قدري وفخري بهم غلا
ولولاهُمُ ما كان في النّاس لي ذكرُ
مصابكم يا آل طه مصيبةٌ
ورزءٌ على الإسلام أحدثَه الكفرُ
سأندبُكم يا عدّتي عند شدّتي
وأبكيكم حزنًا إذا أقبل العشرُ
عرائسُ فكرِ الصّالحِ بنِ عرندسٍ
قبولكُم يا آل طه لها مهرُ

وبعدها أشار إلى أحد القرّاء فقرأ قصيدة في رثاء مولانا السبط الشهيد عليه السلام وانتهى المجلس بالبكاء والنحيب على مصائب كربلاء...

■ ■ ■

الوادي الثاني

اليوم لدي موعدٌ مهم مع الشيخ يقظان لإخباره بإتمام البرنامج الأول، فقد طلب مني ان اكتب ملكاتي السيئة وارتبها من الأسهل إلى الأصعب وقد استغرق ذلك مني ثلاثة عشر يومًا...

اشعر اني انجزت شيئًا مهما في هذا البرنامج فقد صرت بصيرا بأبرز مشاكلي، واخطائي، واحصيت أكثر الملكات السيئة التي كنت ولا زلت مواظبا عليها...

كما ان جلساتي مع نفسي وتأملي بأحوالها منحتني - من حيث لا اشعر - سكينة خاصة، وهدوءا لم اعتد عليه من قبل. ولو لم يكن من هذا البرنامج الا هذا الحال لكفى - كما انني اصبحت يقظًا، ومنتبها لأكثر تصرفاتي بدون قصد، ومتزنا في تعاملي مع عائلتي واهلي، وحتى مع أصدقائي فضلا عن الناس الآخرين...

بينما انا منهمك بجرد النتائج الايجابية وانا اسوق سيارتي راجعا من الكلية وإذا بشخص كبير يصرخ بوجهي: شبيك ما تشوووووووف!!!!

التفتت إليه ولم اجد أي خطأ قد بدر مني فما كان مني الا ان ابتسمت بوجهه واعتذرت إليه لا عن خطأ...

ثم انتهبت لهذا الأمر الغريب فلعله اشارة إلى انتهاء هذا البقعة المعنوية [وادي التبصر] فقد بدأ بعصبية مني على رجل سائق قبل ثلاثة عشر يوما والان انتهى بانشراح صدر وطمأنينة...

فشكرت الله تعالى، وعرفت ان هذه اشارة عمليَّة قد حصلت عليها...

- وصلت إلى البيت واخذت قدرًا من الراحة ثم توجهت قُبيل المغرب إلى حسينية فاطمة عليها السلام التي اصبحت كهفي الحصين، ومكان راحتي، ومحل انسي...

وكالمعتاد دخلت الحسينية وتوجهت إلى ذلك الركن المضيئ حيث جلوس أستاذي الذي لو شكرت الله ليلا ونهارا على وجوده ما اكتفيت فلاقاني بابتسامة جميلة وقام لي وصافحني وقال لي:

أهلا بحسن عبد البصير!!

استغربت لأن اسمي حسن كريم، فالهمت ان عبد البصير اشارة إلى وادي التبصر الذي فيه ذكر (يا بصير) حيث يتبصر المرء بعيوبه وملكاته...

- شيخنا، شلونكم، مشتاقيلكم

- الحمد لله كثيرا، أنت شلونك؟!

- بخير شيخنا، كملت ترتيب الملكات.

- جيد، اسمع الان مني: (بعد ان مررت بوادي التبصر وبصَّرك الله تعالى بملكاتك السيئة، تدخل بالوادي الثاني وهو من اعظم الوديان الموصلة لله تعالى وهو وادي التوبة، فعليك ان تتوب مما كتبت!، ولكن ليس الأمر بهذه السهولة، لأن هذا الوادي له حافتان الحافة السائبة والحافة الضيقة...

- شنو أقصد من الحافتين هنا؟!

انه لازم تتوب توبتين: توبة عامة، وتوبة خاصة، التوبة العامة انك تتوب إلى الله تعالى من كل المعاصي والذنوب اللي كتبتها والما كتبتها - الذنب مانع من المسير - هذي يسموها توبة عامة...

واما التوبة الخاصة: فهي ان تتوب من الملكة الأولى - اللي كتبتها - وهي الأسهل وهذه التوبة ليست تركها فقط انما هجرها تماما إلى أن تموت هذه السيئة ولا تعود ابدا، وهذا من اهم مبادئ الطريق إلى الله تعالى كي يرحل الإنسان وقلبه سليم، وفارغ من الملكات والموبقات...

وهنا لازم تعيش بوادي التوبة، وتأكل طعامه، وترى آثاره ثم تنطلق منه إلى أول ملكة سيئة فتحاربها وتتركها وتنتصر ولذلك وقبل ان نتحدث عن الوادي الثالث لا بد لك من امور مهمة وهي:

١ ـ أريد منك قراءة الآيات القرآنية والروايات الشريفة التي تتحدث عن التوبة وفضلها وكيفيتها وهي كثيرة بفضل الله تعالى منها:

* قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

* وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾

* وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وغيرها كثير...

وقول رسول الله ﷺ: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له)

الرواية الواردة عن كميل بن زياد

قال: قلت لأمير المؤمنين عليه السلام:

يا أمير المؤمنين العبد يصيب الذنب فيستغفر الله منه فما حد الاستغفار؟

قال يا بن زياد: التوبة.

قلت: بس؟

قال: لا.

قلت: فكيف؟

قال: إن العبد إذا أصاب ذنبا يقول: استغفر الله بالتحريك.

قلت: وما التحريك؟ قال: الشفتان واللسان يريد أن يتبع ذلك بالحقيقة.

قلت: وما الحقيقة؟

قال: تصديق في القلب وإضمار أن لا يعود إلى الذنب الذي استغفر منه.

قلت: فإذا فعل ذلك فإنه من المستغفرين؟

قال: لا.

قلت: فكيف ذاك؟

قال: لأنك لم تبلغ إلى الأصل بعد.

قلت: فأصل الاستغفار ما هو؟

قال: الرجوع إلى التوبة من الذنب الذي استغفرت منه، وهي أول درجة العابدين، وترك الذنب،

والاستغفار اسم واقع لمعان ست:

أولها: الندم على ما مضى،

والثاني: العزم على ترك العود أبدا،

والثالث: أن تؤدي حقوق المخلوقين التي بينك وبينهم،

والرابع: أن تؤدي حق الله في كل فرض،

والخامس: أن تذيب اللحم الذي نبت على السحت والحرام

حتى يرجع الجلد إلى عظمه، ثم تنشئ فيما بينهما لحما جديدا،

والسادس: أن تذيق البدن ألم الطاعات كما أذقته لذات).

٢ ـ ارجو منك قراءة دعاء طلب التوبة في الصحيفة السجادية، ومناجاة التائبين لمولانا علي بن الحسين السجاد عليه السلام.

٣ ـ أن تطالع قصص التائبين وسيرهم، وأحوال المستغفرين وايامهم وهي مسطورة في الكثير من الكتب الأخلاقية...

ثم قال:

لعل هذا يكفي في بيان أهمية التوبة وخصوصية مقامها، الان لنتفرغ للصلاة وتعال الي غدا قبل صلاة المغرب بساعة ونصف للشروع فعليا بمجاهدة النفس والله تعالى المستعان...

■ ■ ■

العلاجات الأربعة

العلاج الأول

حضرتُ بين يدي أستاذي بالوقت المقرر. قُبيل صلاة المغرب بساعة ونصف. وقد سبقني إلى الحضور، وكان مشغولا بقراءة أدعية من كتاب اسمه (إقبال الأعمال) وكان يقرأ أدعيته بحضور، وتوجه، وإنقطاع، وكانت دموعه تتساقط كحبات اللؤلؤ...

حتى إذا أتمَّ الدعاء إلتفت الي بإبتسامة ملكوتية كأن السماء غازلت الأرض فيها ـ يا إلهي هؤلاء الربانيون حتى عواطفهم تختلف ـ قال:

ـ السلام عليكم.

ـ وعليكم السلام والرحمة شيخنا.

ـ شلونكم حبيبي!

ـ الحمد لله، بنعمة وخير.

ـ اسمعني جيد واعطني مجامع قلبك!

ـ صار

اعتدل بجلسته وتمتم بلسانه ثم قال: (كل ملكة سيئة، أو

مرض معنوي، أو صفة ذميمة، أو معصية راسخة، ـ مثل اللي كتبتهن ـ لها اربعة علاجات، لا يمكن للمؤمن الخلاص منها الا باعطاء هذه العلاجات الاربعة للباطن ـ مثل الطب الجسدي يكولون للمريض اخذ هذي الحباية، والكبسولة، والابرة، والحمية الغذائية لمن تطيب ـ كذلك في علاج الأرواح، ومداواة النفوس، لا بد من إعطاء عدة علاجات ليشفى مريض الروح وسقيم القلب ـ واللي ما يشفى قلبه ما يأتي الله بقلب سليم، يروح وهو مريض عليل ويشبع ندامة وتأخر هناك ـ وهنا على المريض ان يعمل بهذه العلاجات بدقة عالية، ومراقبة شديدة والتزام مهني...

وهذه العلاجات مختلفة حسب المرض ـ شلون عدكم بالطب ـ ولكن دعني اشرح لك حقيقة هذه العلاجات بصورة عامة ثم نختار ملكة من الملكات لنطبقها عليها فصلي على محمد وآل محمد...

ـ اللهم صل على محمد وآل محمد.

قال: العلاج الأول: العلاج العلمي

معرفة المرض المعنوي وما قيل فيه وآثاره أول شيء في مجاهدته ـ شايف بالطب لمن يرسلون المريض للاشعة، أو السونار، أو الدوبلر، أو الناظور، أو المفراس أو ما شابه ـ الغرض يعرفون شنو المرض ـ كذلك في عالم المعنويات ومراتب المجاهدة.

فينبغي على المؤمن أن يقرأ مفصلا عن الامراض التي تجشم

على صدره، فيبدأ بالقرآن الكريم فيقرأ الآيات الشريفة التي تتحدث عن المعصية - كالربا والغيبة وقطيعة الرحم والرياء وغيرها - ويذهب إلى تفسير هذه الآيات ويقرأ معانيها ليعرف تبيانها فيطالع تفسير البرهان والتبيان والميزان ومجمع البيان والأمثل وغيرها من التفاسير المعتبرة لدينا.

ثم يذهب إلى أحاديث معلمنا الأول ومنقذنا العظيم محمد المصطفى ﷺ وروايات ائمتنا المعصومين عليهم السلام فيطالع عن كثب وبدقة وتمعن كلماتهم حول هذه الملكة السيئة وماذا قالوا فيها وما علاجاتهم لها فيطالع كتاب بحار الأنوار والكافي ونهج البلاغة ومصباح الشريعة وباب جهاد النفس في كتاب الوسائل والشافي وميزان الحكمة وغيرها.

ثم بعد ذلك يذهب إلى كتب السلف الصالح من علمائنا الربانيين، وصلحائنا المحققين بحقائق الإيمان فيقرأ ما كتبوا حول هذه الذنوب، والملكات السيئة ثم يختم بأقوال المحدثين من علماء الأخلاق والتربية والسلوك ولعل أفضل كتب في هذا المجال المحجة البيضاء للفيض الكاشاني وتهذيب الأخلاق لابن مسكويه ونور الحقيقة للشيخ عز الدين العاملي (والد الشيخ البهائي) وجامع السعادات للمولى النراقي وتهذيب والذنوب الكبيرة والقلب السليم للشهيد دستغيب ومرآة الكمال للشيخ المامقاني ومكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي والاربعون حديثا للسيد الخميني وفقه الأخلاق للشهيد الصدر والأخلاق

في القرآن للشيخ الشيرازي وأخلاق أهل البيت عليهم السلام للسيد مهدي الصدر وخمسون درسا في الأخلاق للشيخ القمي وغيرها.

وهنا ستصبح لديه رؤية متكاملة حول المرض المعنوي الذي يعني منه، فيعرف حقيقته، وآثاره، وأسبابه، ودواعيه، وجذوره وغير ذلك من الحقائق المتعلقة به.

وهنا لا بد من ملاحظة مهمة: إياك إياك أن تعمل ببعض الأذكار الموجودة ببعض الكتب فالذكر كالدواء لا يُعطى الا بأحوال خاصة الا الاذكار العامة كالصلاة على محمد وآل محمد، والتهليل، والتسبيح، والاستغفار، بمعنى خذ كفايتك النظرية المتعلقة بهذا الذنب أو تلك الملكة من الكتب المذكورة أعلاه...

ان هذه الكتب الجليلة وهنا رن هاتف الشيخ...

- السلام عليكم...

- عليكم السلام شيخي الحكلي بنتي (زينب) اندعمت!

الحكلي راح تموت!!!

بويه شيخ يقظان الحكلي....

- الو ابو رقية وين انت؟!

- بمستشفى ابن البلدي، بمدينة الصدر....

شيخنا دعاءك!!!

قام الشيخ وقال: نروح للمستشفى...

قلت له: شكو شيخ؟!

كلي: حسن، ابو رقية أحد اصدقائنا بنته سوت ضاربتها سيارة، لازم نروح

- من دون شعور مني: زينب؟!!! بنت الاخ اللي التقينا بيه قبل ايام؟!! زينب زينب!!!

شيخ هاي طالبة وياي بنفس الكلية والقسم والمرحلة....

اسرعت وهو معي وطلبت منه ان نذهب بسيارتي، فوافقني وذهبنا وانا احاول ان اسرع وهو بكامل الطمأنينة ويقرأ ذكرا ويردده بهدوء

(نادِ عليا مظهر العجائب، تجده عونا لك في النوائب، كل هم وغم سينجلي، بولايتك يا علي يا علي يا علي) ومع اني في تمام الاضطراب كان بمنتهى السكون.

- قال لي بابتسامة: شو انخبصت شبيك؟!

- كتله شيخنا: هاي زميلتي وياي بالدراسة واني اعرفها قبل لا أعرف ابوها.

تخطينا بعض مناطق بغداد من الكرادة إلى مدينة الصدر فأذن الاذان...

قال لي: شوف مسجد نصلي!!

- هاااااااا، شيخنا عدنه حادث خلي نوصل للمستشفى ونصلي!

- كلي: بابا الما يصلي صلاته بوقتها مريض، تريد ندخل للمستشفى مرضى؟!

- قلت بقلبي: هنيالك على كلبك!

اضطررت ان اقف في منطقة البلديات فصلينا في أحد مساجدها، ثم توجهنا إلى مدينة الصدر، سألت عن المستشفى فقالوا قطاع ٦٧

- وصلنا إلى المستشفى - وانا اعيش حالة من الاضطراب لم اعهدها من قبل - رأينا اباها واخوتها وتبين ان صاحب سيارة قد ضربها بلا قصد وهي ماشية ويبدو ان في يدها كسور أو رضوض...

خرج الينا الدكتور وقال الأمر غير مخيف وتحتاج إلى تجبيس اليد، وهنا تدخلت بسرعة وعجلة.

- لازم ننقلها لمستشفى آخر، خلي ناخذها للكرادة، ارجوكم خوش مستشفيات هناك، قبل لا يصبون يدها!

- قال الشيخ يقظان لأبيها: ناخذها لمستشفى الراهبات في الكرادة!

- الراي رايك بويه

- وحيث انهم لا يملكون سيارة فقد اصعدوها بسيارتي والشيخ يقظان بالصدر وابوها معها وانطلقنا إلى المستشفى....

■ ■ ■

مستشفى الراهبات

العلاج الثاني

مع أنها كانت تتلوى من ألم الضربة، وتتوجع من كدمات الحادث، إلا أنها كانت على قدر عال من الحياء بحيث تحتمل الألم ولا تتأوه كي لا نسمع صوتها!

أيُّ تدين هذا الذي يجعل النفوس تستحي وتكتم مع شدة الموقف، ومسيل الدماء؟!

سرتُ بالسيارة مسرعا كالبرق وانا اتخطى المدينة تلو الاخرى جاريا كجريان البواخر في البحار ومع اني كنت اتخطى السيارات من دون النظر إلى المرآة الخلفية كي لا تقع عيني عليها الا اني كنت حذرا جدا مع هذه السرعة وفي وسط صمت وارتباك صاح بي الشيخ يقظان

- علكيفك بابا، على شنو السرعة؟!

- صار بابا صار!

[كلمة - بابا - كأنها نسمة هواء باردة على قلب يتلوى كتلوي السمكة التي اخرجوها من البحر، هؤلاء يتعاملون بالحب في

أحلك الضروف واشد المواطن... من أين جاءوا بكل هذا الحب والعطف؟!]

وصلنا مستشفى الراهبات وقد أدخلوها إلى الدكتور المختص فيما بقينا انا والشيخ خارج الردهات ننتظر أخبارهم

قال لي الشيخ: سموا القلب قلب لأن يتقلب بين الخوف والرجاء والحزن والفرح والاضطراب والسكون ـ وإذا بقى على هذا الحال ـ ما راح يصير (بيت الله) وين اكو بيت يتحرك؟!!!

قال مولانا جعفر الصادق عليه السلام: (القلبُ حرمُ اللهِ، فلا تُسكن في حرمه غيرَه)

ـ سنبلةُ القمحِ لا تحملُ تمرَ مريم، انما تحمل ظِلال عيسى نخيلٌ باسقةٌ!!

وقعت كلمات شيخي كالماء البارد على قلبي، وشعرت وكأنها سُحب سكينة عمت وجودي، ابتسمت لا اراديا وقلت:

الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله

ـ قلت له: شيخنا شنو رأيك تكمل لي موضوع العلاجات اللي بديناها بالحسينية، علما يطلعون الجماعة من الدكتور؟!

ـ ابتسم قليلًا ثم قال: احسنت وبوركت همتك العالية في الطريق!

تعال نجلس في الحديقة...

ـ تحدثنا عن العلاج الأول وهو العلاج العلمي ومفاده أن

يطلع الإنسان على حقيقة الملكات السيئة، والذنوب الكبيرة، ويعرف آثارها، وعقوباتها، وطرق علاجها، يعرف ذلك كله من القرآن الكريم، وأحاديث النبي وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين)، وكلمات العلماء الربانيين وآثارهم... وقد حدثتك عن هذا مفصلا

واما العلاج الثاني وهو أهم من الأول وهو الذي عليه مدار المجاهدة ولا قيمة لأي علاج دون هذا العلاج وهو العلاج العملي لكل ملكة ويستنغرق اربعين يوما لكل واحدة على أقل تقدير...

- ماذا نعني بالعلاج العملي؟!

- يعني ان نبدأ عمليا بمعالجة الملكات السيئة فنضعفها تدريجيا إلى أن تموتن شيئا فشيئا...

- شلون يصير هذا الإضعاف؟!

- الطريق العملي يمر بعدة خطوات تضعف من خلالها الملكات وهذه الخطوات هي

أولا . المشارطة: أن يحدد الملكة الأولى . الأسهل . فيشترط على نفسه أن لا يعمل بها اليوم، يقول لها:

يا ايتها الموغلة بالخطايا إلى متى هذا الابتعاد؟!

الى متى أنت أسيرة هذه الصحاري القاحلة؟!

ثم تلتفت إليها بهمة عالية وإرادة راسخة وتصرخ بها:

كفى ايتها الكسولة العاجزة، كفى ايتها المتمردة الظالمة، حان الآن موعد الرجوع إلى الله تعالى وانا اشترط عليك ان لا ترتكبي المعصية الكذائية طوال هذا اليوم ثم تنتقل إلى الخطوة الثانية...

ثانيا . المراقبة: فيبدأ بمراقبة نفسه، وأحواله، وأقواله، وأفعاله وكل تصرفاته، بأن ينتبه إلى هذه الملكة التي حددها ولا يقترفها ابدا، طوال اليوم ينتبه لنفسه ويراقبها ويشدد على ان لا يقوم بهذه الملكة السيئة إلى موعد نومه!

- المراقبة يا عزيزي حسن أساس السير والسلوك، وسنام جهاد النفس، وأصل العلاج العملي

المرحوم العارف السيد محمد حسين الطباطبائي كانت آخر وصية له قُبيل وفاته هي: المراقبةُ المراقبةُ المراقبةُ!

ثالثا . المحاسبة: بعد ان يراقب نفسه الإنسان طوال اليوم، وينتبه إلى كل اقواله وافعاله وحركاته وسكناته يأتي الآن دور المحاسبة فيجلس مع نفسه قُبيل النوم ويحاسبها كما يحاسب الشريك شريكه!

هل قامت بعمل هذا الذنب اليوم أم لا؟!

لنا قد شرطتُ عليك صباح هذا اليوم ان لا ترتكبي هذه المعصية طوال اليوم فهل ارتكبتيها؟!

فأن كانت النفس قد اقترفت هذه المعصية سهوا أو عمدا عاتبها ووبخها وجدد التوبة واستغفر وشحذ همته على ان يؤدي

العمل من جديد وان كانت النفس قد طاوعته ولم ترتكب المعصية سجد لله تعالى شكرا وقرأ مناجاة الشاكرين لمولانا زين العابدين السجاد عليه السلام وطلب من الله تعالى ان يعينه على ايامه الباقية...

- وبينما انا منهمك في الاستماع وقد اعطيت مجامع قلبي لشيخي وأستاذي وإذا بعيني تقع على باب الردهة وقد خرجت زينب وهي بحالة يرثى لها، وقد جبَّروا يدها ولفو رأسها بقطعة قماش فوق حجابها، شعرت كأن السماء وقعت على رأسي واعترتني حالة شديدة من الذهول المزيج بالحزن...

نهضنا انا والشيخ يقظان واستقبلناها ووالدها وأخوتها...

- الحمد لله على سلامتكم!

قلت هذه العبارة وانا في وسط الشعور بالانكسار والحزن وقد ردت عليَّ بخجل بالغ

- الله يسلمكم أخي.

ركبنا السيارة ورجعنا إلى بيتهم في مدينة الصدر وقد كان الشيخ يقظان يدعو لها طول الطريق.

■ ■ ■

طرف العباءة

ذهبت إلى الشيخ يقظان قُبيل صلاة المغرب بساعة وقد كان ينتظرني لإتمام بحث (العلاجات الأربعة) وبعد ان استقر بنا المقام في باحة المسجد وقد كانت أمامنا شجرة باسقة في وسط الباحة، وعليها عصافير وطيور بعضها يحوم حولها والآخر قد وقف عليها وكان المنظر آخذا بالقلب لجماله...

قال لي الشيخ: شوف حسن، المؤمن يشبه هاي الطيور بعضها يدور حول الشجرة والآخر قد استقر، هاي العصافير الواقفة تشبه المؤمن الي عرف شجرة الحقيقة فطاب له المقام تحت ظلالها، والآخر بعده ممستقر لو ما عنده ثقة بيها لو خايف من حجارات الاطفال لو هو عنده نزوة فتشوفه يروح ويرجع...

- دعنا نكمل بحثنا: العلاج الثالث في عالم تزكية النفس هو علاج الذكر فلكل مرض علاج - كما في الطب - لا بد ان يأخذه المريض من معالج مختص والا فأن بعض العلاجات قاتلة...

[وهنا اكو سالفة خطيرة جدا وهي انه اكو ناس يرحون يشترون كتب اذكار واوراد واحراز وطلاسم وختومات ويسوونها وحدهم من دون معرفة، لو يعالجون بيها ناس وهم لا يعرفون مدى خطورة هذي الأمور، يعني يمكن يقتلون الروح وما يدرون، لازم الإنسان يبتعد عن هاي الأمور ويقتصر على الاذكار العامة الواردة في كتب الاحاديث والادعية]

قلت له: شيخنا مثل شنو؟!

- مثل الصلاة على محمد وآل محمد - فهي أفضل الاذكار - والاستغفار والتهليل والتسبيحة الكبرى (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله اكبر) أو يقرأ أدعية المعصومين ﷺ الواردة في الكتب المشهورة كاقبال الاعمال ومصباح المتهجد وجمال الاسبوع ومفاتيح الجنان وغيرها

- قام من مكانه وقال: لنتمشى بباحة المسجد ثم قال بنبرة حزن وأسف!

[ان طريق الله سهل - سهل للغاية - صعبته الناس، لقد كان أستاذ أساتذتنا المرحوم السيد علي القاضي (رحمه الله) يقول: لقد وجدنا الطريق أسهل مما نتصور]

اذن فالعلاج الثالث هو (ذكرٌ لكل ملكة سيئة) ولا سبيل إلى بيان ذلك تفصيلا فقد يحتاج إلى شهور من الشرح والبيان...

واما العلاج الرابع وإذا بصوت من الباب كله حنان وجمال وهو يقرأ بلحن اشتياق لم اجد مثيله في عالم الدنيا المليء

بالكراهية والعداوة، صوت رجل قارب الثمانين يقرأ شعر شوق لرجل تجاوز الاربعين فاتحا كلتا يديه وهو يقول:

يا أَخِلَّائي بِحُزْوَى والعَقيقْ! لا يُطيقُ الهَجْرَ قَلْبي لا يُطيقْ

هَل لِمُشْتاقٍ إِلَيْكُمْ مِنْ طَريقْ! أَمْ سَدَدتُمْ عنهُ أَبْوابَ الوِصَالْ؟!

لا تَلومُوني على فَرْطِ الضَّجَرْ لَيْس قَلبي مِنْ حَديدٍ أو حَجَرْ

فَاتَ مَطلوبي وَمَحْبوبي هَجَرْ والحَشَا في كلِّ آنٍ في اشْتِعالْ

مَنْ رأى وَجْدي لِسُكَّانِ الحَجُونْ قَال: ما هذا هَوًى هذا جُنُونْ

أَيُّها اللُّوَّامُ مَاذا تَبْتَغونْ قَلْبِيَ المُضْنَى وَعَقْلي ذو اعتِقَالْ؟

انه الحاج سعد النداف جاء يقرأ هذه الابيات واحتضن الشيخ يقظان بطريقة لم اعهدها حتى بين الطفل وامه فيما بقيت مشدودا إلى الموقف ومذهولا للحال

- الشيخ يقظان يقبل جبين الحاج النداف ويقول: إلهي اشهدلي انا احب حجي سعد.

- والحاج يأخذ طرف عباءة شيخ يقظان ويمسح عينيه ويقول: إلهي افتح عيوني بجاه طرف عبايته.

ثم عانقني بابتسامته الملكوتية وقال ممازحًا:

ولك حسن دير بالك على أستاذك تراهو لؤلؤة شمروها علينا من بحر اللُّطف!

وخلي ببالك: نص الدرب وفه، والما يوفي يطردونه!

اختنقت بعبرتي لا اراديا وكلت: شعندي غيركم!

ابتسم الشيخ يقظان وقال للحاج: نريد نشوفله زوجة صالحة!

ضحك حجي سعد وقال: إلهي يشفيها!!!!

- خامرني الذهول والخجل فسكتت

فقال الشيخ يقظان: واما العلاج الرابع فهو العلاج الجذري أي ان الإنسان يذهب إلى جذر الملكة السيئة ويعالجه، وإذا قطعت الجذر ماتت الشجرة ومثال ذلك العصبية احيانا يكون جذرها الانانية واحيانا يكون جذرها رفيق سوء والشهوة المحرمة احيانا يكون جذرها التواصل والامر دقيق يحتاج إلى بصيرة وحكيم مرشد...

بدأ الناس يتوافدون على الحسينية، وعلا صوت قارئ القرآن، وبدأت الاجواء الروحانية في هذه البقعة المباركة يفوح اريجها ويعبق شذى عبيرها فقال الشيخ إلى هنا انتهى موضوع العلاجات الاربعة بقي ان نطبقها على اول ملكة كتبتها في دفترك كي تبدأ رحلة المجاهدة وتطوي وديان النفس وتجتاز طرقها الوعرة وتقتل افاعيها وذئابها وهذه اول رحلة العشق وسأشرحها لك يوم الجمعة ان شاء الله تعالى...

■ ■ ■

صديقي عمار

يقول حسن: مرَّت خمسة أيام ولم تأتِ زينب إلى الدوام في الجامعة، الطالبات القريبات منها كنَّ قد ذهبن لعيادتها والاطمئنان على صحتها وقد حاولت ان اتقصى أخبارها

فقصدت إحدى صديقاتها المقربات اللواتي يعرفن بالتدين والالتزام واسمها لينا...

- السلام عليكم

- عليكم السلام والرحمة

- معذرة، بس حبيت اسأل عن زميلتنا زينب، شنو سبب تغيبها؟!

- الله يسلمكم، زينب شوي متعبة ومريضة واخذت اجازة وان شاء الله ايام وترجع للدوام...

قالت هذا الكلام وسكتت وارادت ان تغلق الموضوع، وهي لا تعلم بان أعرف الموضوع، ثم استأذنتني وانصرفت ومع ان هذا الجواب الغامض اعجبني فالصديق يكتم أسرار صديقه ولا يبوح بتفاصيل اموره ويكون كهف اخباره وحصن أحواله...

نعم هذه أخلاقيات الصداقة الحقيقية فليس من الصواب ان تتحدث بكل ما تعرفه عن صديقك، ولا يصح بيان وشرح أحواله دوما، واما إذا رأيت ما لا يسرك فاكتمه إلى أن تنقشع السحابة

❊ هود النبي عليه السلام علم بنزول الغيث، ولكنه انتظر رأي القوم بكلام العجوز، حفظا للسر، وامتحانا لهم، وتربية لباطنه، فانحدر الجزع، وتهاوى الجبل، واشرقت الحكمة، وجاء الفيض، وهذا من أسرار السير وسلوكه فتأمل...

ولكن هل يُكتم الحال على روح مشوشة مثلي فانا أريد ان أعرف أحوالها ولينا لا تدري بحرقة قلبي واضطرابه...

رجعت إلى البيت مرهقا وبعد اخذ قيلولة من النوم جلست للمذاكرة ولقراءة الامتحان المقرر في يوم غد، وبعد تناول العشاء قصدتُ عمار الذي كنت لا افارقه ايام التسكع والمشاغبة وقد قصرت معه في الاشهر الماضية ظنا مني انني يجب ان ابتعد إلى أن عاتبني الحاج النداف قائلا:

(بويه اللي يريد درب الله ما يبتعد عن الناس، ويعبس وجهه، ويقاطع ناسه، يعيش حاله حال الخلق بس ما يطمس بطين ذنوبهم ولا يبيع كلبه بالسوك... ارجع لاصدقائك وبدلا ما يجروك للطين جرهم للنور!)

وفعلا، اخذت بكلامه وقصدت صديقي القديم وفي الطريق اتصلت به

- الو

- الو سلام عليكم

- عليكم السلام هلو حسن

- شلونك عمار، اني جاي عليك بالطريق!

- معقولة، خاف مشتبه يمعود، أنت اصلا نسيتني.

- متوهم حبيبي، اصلا مشتاقلك.

- تعال تعال

وصلت إلى عمار وبيته في زيونة وهو من ابناء الاثرياء وقد اخذت منه الحياة وزهوها مأخذا الا انه يمتلك قلبا طيبا وغيرة وشهامة

استقر بنا المقام وبعد معاتبة بسيطة منه قال لي:

- أنت وين هالأيام؟! ليش ما تتواصل ويانه؟! الشباب بالكوفي كلهم يسألون عنك؟!

- حدقت النظر إلى عينيه، واستجمعت قواي وقلت له:

- شوف عمار اني ما خليت درب ما مشيت بيه وياك ووي غيرك وكلشي أنت تعرف وكانت عندي لهفة وعطش للسعادة وكنت اتصور ان هذي الملذات ممكن توصلني للغاية اللي اتمناها وهي الراحة والسعادة والاستقرار بعدين لكيت ان كل هاي السوالف ما توصل الإنسان الا للتعب والندم والمرض والتعاسة

- بالله عليك شستفادينه من السهر والسفر البي هواي محرمات وعلاقاتنا وكلشي مو حلو؟!

وين وصلت انت؟! حصلت شي؟!

الدنيا مثل ماي البحر كلما تشرب تعطش، بالضبط مثل الحيَّة جلدها حلو وناعم بس سمها يكتل واني هواي سمتني واذتني وبلحظة الله التفت لي وصحيت على نفسي بليلة ظلمة جنت راجع من عدكم وصاحوا علي!!!

- منو صاح عليك؟!

- اهلي!!

- اهلك؟! شنو شو امك تعرفنا؟! واحنه حبايب!

- لا مو بس ذوله اهلي، المهم سد الموضوع اني مشتاقلك...

- اخذت كلماتي مأخذها في قلب عمار وشعرت به راح في وادي عميق من التفكير وحتى نظراته اصبحت غير متناسقة ولذلك حاولت ان لا الح عليه وغيرت الموضوع لامور كثيرة

❋ مسكين ساحل البحر! لم يشبع من الأرتواء - يزوره الماء ويرجع - وما ذاك الا ليزيده شوقا وانتظارا، وكم يشفق الحب على بئر يوسف فقد زاره الصديق مرة واحدة ولامس قاع البحر قدم موسى الكليم مرة واحدة ايضا!

ولكن حدثني عن الارض الجرداء التي لم يمر بها الماء يوما هل ماتت شوقا أم عطشا؟!

_ رجعت إلى البيت وانا اكرر بعض الاذكار التي اوصاني بها شيخي اليقظان واهمها الصلاة على محمد وآل محمد فهو يقول دائما: لا يوجد ذكر افضل منها اطلاقا وهي من اعظم كنوز العرش التي نزلت إلى الفرش ولو اكتفى بها المؤمن لوصل إلى درجات عالية جدا، والواحدة منها تعادل عبادة إحدى وعشرين الف سنة، وسوف لا يعرف الناس قيمتها الا إذا تجلت لهم كرامتها في البرزخ أو القيامة...

* تبقى الجواهر بيد الآخرين غريبة حتى يعثر عليها اهلها، وتعيش الارواح الجميلة مغتربة حتى تجد من يفهمها فتسكن اليها، وهكذا حال الحقائق ايضا!

وعند وصولي إلى البيت انهيت ترتيب غرفتي الشخصية واغراضي وكتبي وملابسي وفي الساعة ٢:١٠ جائتني رسالة على الوتساب من عمار:

- هلو حبيبي حسن!

- عيوني عمور، شنو لازم اشتاقيتلي هههه

- خايب لا، بس كلامك دوخني! اني هواي ضايع خويه، مخلصها لعب ومدري شلون راح تخلص.

- أنت الخير والبركة، وهاي الأمور لازم كل واحد يفكر بيها وخصوصا اللي الله متفضل عليهم ومرتاحين (مثلك).

ـ والله شكلك، حجيك صحيح، ما تخلينه نلتقي بعد، حبوبي لا تكطع بيه، اني من اشوفك ارتاح

ـ من عيوني

ـ تسلم عيونك، تصبح على خير

ـ وأنت الخير حبيبي

* وهكذا فاذا اراد الله للوردة ان تتفتح فأنه يسخر الفلاح والهواء والتراب والماء لها، وبعد ذلك يقول للفراشات: صنعت لكم سكنا جميلا.

استلقيتُ على سريري بعد أداء آداب النوم التي يؤكد عليها الأستاذ اليقظان ومن أهمها النوم على وضوء، قراءة سورة التوحيد ثلاث مرات، تسبيح الزهراء عليها السلام، قراءة آية الكرسي، قراءة آخر آية من سورة الكهف، النوم على الجانب الأيمن، كما ينصح بأن تضع تحت وسادتك التربة الحسينية وبمجرد الاستيقاظ تسجد عليها شاكرا لله تعالى أن وهبك حياة جديدة...

وفي المنام رأيت رؤيا عجيبة فقد رأيت اني قد اقبلت على قلعة جميلة جدا وعليها قبة صفراء كبيرة ومكتوب على بوابتها (قلعة عبد الله حسن اليقظان المحتلة!) ولكن هذه القلعة الجميلة تحيط بها وحوش كاسرة اشبه بالدينصورات والغيلان والتنانين وقد شوهت صورتها الجميلة فمنهم من يجلس على الابواب ومنهم من يهيمن على السور وبعضهم فوق القبة وبعضهم على المنائر وحين اقدم عليهم بشجاعة يهربوا وحين

اخاف في قلبي يهجموا علي واستمر الصراع لارجاع قلعتي إلى أن استفقت مرعوبا من المنام...

يا ترى ما معنى هذه الرويا؟!

■■■

النظرة المحرمة

في هذا اليوم ـ الجمعة ـ لدي موعد مهم مع الشيخ يقظان في بيته بعد صلاة الظهر وقد أمرني أن أحدد الملكة الأولى لكي تبدأ قصة المجاهدة فعليا ونطبق العلاجات الاربعة عليها.

* حين أراد الخليل الدخول إلى نور التوحيد قيل له: ضع فأسك على عاتقك وأذهب إلى معبد الأوثان وحطمها، فحياة التوحيد موت الشرك، وشعلة النور تبدأ بمحق الظلام، وتوهج الروح بإخماد نار النفس الأمارة بالسوء ـ هكذا تجري الأمور في رحلة العشق الأبدي.

قصدت دار أستاذي في الوقت المحدد وقد استقبلني بأبتسامته المهيبة ومعانقته الحانية وبعد ان طاب لي المقام وتبادلنا السؤال عن الأحوال بادرني بالقول:

ـ زينب بأتم النعم، وهي تتحسن، وان شاء الله الأحد تباشر بدوامها، وابوها يشكرك على موقفك يوم الحادث!

ـ لا شكر على واجب شيخنا، هذا واجبي.

ـ هل اخترت الملكة الأولى كي نتحدث عنها؟!

ـ نعم شيخنا، النظرة المحرمة!

ـ طيب، بسم الله، وديان المجاهدة معناها ان هناك عدة وديان تضم طرقا وعرة، ومرتفعات قليلة، وافاعي قاتلة، وعقارب مسمومة، وذئاب كاسرة، وحشرات ضارة، مع طقس حار، ومناخ جاف، وشمس لاهبة ـ تخيل الأمر هكذا ـ وعليك ان تجتاز هذه الصحاري والوديان بسلامة إلى أن تصل إلى منازل آمنة!

* في رحلة العشق لا بد ان تقطع بسيف الجهاد رؤوس الافاعي، وتسحق بقدم الشجاعة ذيول العقارب، وتكون قائدا لجيش التوكل، وعميدا لكتيبة الفتح وتستمر بالمسير إلى أن ترى بيارق قلعة (يا ايتها النفس المطمئنة، ارجعي...).

اكمل شيخي قائلا: فكل ملكة سيئة هي وادي سحيق وحدها وفيها كما قلت لك افاعي وعقارب وذئاب ووو وما على المؤمن الا ان يجتاز هذا الوادي ويأمن من شروره، وعليه في اثناء ذلك ان يكون شجاعا مقداما صابرا باسلا

قال ابو الطيب:

أين فضلي إذا قنعت من الدهـ ـر بعيش معجل التنكيدِ

عش عزيزا أم مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

والنظرة المحرمة ياولدي ـ أيًا كان نوعها ـ في الواقع أم على المواقع، نظرة مباشرة أم صورة، وادي يجتمع فيه الأبالسة

ليوقعوا فيه العبد ويربطونه بسلاسل الشهوات، وهذا الوادي اخطر الوديان، حيث تجتمع فيه الشياطين والحيوانات الكاسرة.

وكم من روحٍ نقية بلغت درجات عاليات ثم تهاوت في مستنقعات هذا الوادي المظلم - بسبب النظرة الحرام ومشاهدة ما حرَّم الله تعالى - فبقيت جليسة تراب الذل وصحراء الانكسار!

- كان الشيخ يقول هذا بحسرة بالغة، وبلا شعور مني طأطأت رأسي وسالت دموعي، فكم قد افنيت من الليالي بالنظر الحرام ومشاهدة الآثام.

نهض من مكانه وجاء لي بكأس ماء ثم جلس وانا بين الحيرة والحزن اضطربت اركاني قلت له: العفو شيخنا جاي ازاحمك

قال: انظر يا حسن لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ومنها قول معلمنا الأول سيد المرسلين ﷺ: (اكفلوا لي بست أكفل لكم بالجنة: إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا ائتمن فلا يخن، وإذا وعد فلا يخلف. غضوا أبصاركم وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم) ومن عجيب الأحاديث قوله ﷺ: (غضوا أبصاركم ترون العجائب) ومما روي عن المسيح عيسى بن مريم لحوارييه: (إياكم والنظر إلى المحذورات فإنها بذر الشهوات ونبات الفسق) وكان يقول لأصحابه أيضًا: (إياكم

والنظرة فأنها تصنع في قلب صاحبها الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة)

ومن لطيف الأسرار وجميل البيان قول مولى المتقين علي بن ابي طالب عليه السلام حين سُئل: بماذا يستعان على غض البصر فقال: (بالخمود تحت سلطان المطلع على سرك، والعين جاسوس القلب، وبريد العقل، فغض بصرك عما لا يليق بدينك، ويكرهه قلبك وينكره عقلك) وبيَّن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ما فُرض على العينين بقوله: (وفرض على العينين غض البصر عما حرم الله وهو عملهما)

هذا يكفي في العلاج العلمي أيها العزيز اما العلاج العملي وهو ما عرفته فأن عليك ان تترك النظر المحرم وفق النظام الذي ذكرته لك من مشارطة ومراقبة ومحاسبة لأربعين يوما مستمرة فأن فلتت منك ازمة نفسك فأعد من جديد وهكذا...

واما علاج الذكر فعليك بالاكثار من الصلاة على محمد وآله، وقول (يا حبيب يا محبوب صلي على محمد وآله) إذا وقعت عينك امرأة فاتنة وإذا هاج بركان الشهوات عليك فأكثر من (لَا إِلَهَ إِلَّا أنت سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ).

واما العلاج الجذري فابتعد عن كل ما يجرك للنظرة المحرمة من مجلس أو متابعة أو صديق سوء أو ماشابه ثم قال لي وبرنامجك الخاص هو:

١ ـ ....

٢ ـ ....

٣ ـ ....

اذهب وجاهد نفسك على ترك هذه الملكة واجتياز وادي الابالسة ووكر نظرات الافاعي لأربعين يوما واقصدني كل عشرة ايام وعليك عون الله...

* ان لقاء مرشد الطريق، والاستماع له، والتلمذة على يديه يختصر الطريق بخطوة بعد ان كان الآف الاميال، ولهكذا فأن الرفقة طريقٌ بحد ذاتها.

■■■

مبادئ الطريق

(الجلسة الأولى)

اتصل بي الحاج سعد النداف وقال لي ان هناك جلسات ليلية مع بعض الشباب المحبين لطريق الله تعالى وقد يحضر الشيخ يقظان أيضًا مع بعض المشايخ وطلبة العلوم الدينية وسيكون اللقاء في بيتي بعد العشاء فأن احببت ان تحضر فأهلا وسهلا بك...

*** وإذا اجتمعت الفراشاتُ حول الزهور فإياك إياك ان لا تجتمع معهم ولو كانت روحك روح خنفساء، فمن يجالس أهل الملكوت يتسرب له لون من الوانهم وان كان من أهل الدنيا.**

شكرته على الدعوة ووعدته بالحضور قدر المستطاع وقد كنت راغبا جدا في حضور هكذا محافل نورانية تحضرها أرواح تعبت من المجاهدة وتزينت بالكمالات والمقامات المعنوية...

وفعلا، حضرت الجلسة الأولى وقد رأيت شبابًا ظهرت ملامح التدين عليهم فسيماهم توحي بالنقاء الباطني والطهارة الروحية ومن لطيف ما لاحظت ان اغلبهم كفاءات علمية أو

أهل حرف وصناعات فهناك المهندس، والمعلم، ورجل الدين، وطالب الاعدادية، والتاجر، والبقال، والنجار، والحداد...

لم يكن الشيخ يقظان حاضرا فقد قالوا انه اعتذر لارتباط ما...

بدأت الجلسة بقراءة آيات كريمة من القرآن المجيد وقد لاحظت التأثير البالغ له عليهم فقد كانوا ينصتون وكأنهم يسمعونه من الحق تعالى ورأيت بعض الشباب تسيل دموعهم من الخشية والتدبر وكأن الكلام يعنيهم...

بعدها قال الحاج النداف: إذا اكو سؤال تفضلوا.

فقام شابٌ يافعٌ ملئ روحه الجمال وقال: حجي شنو أهم أركان أو أسس الطريق العملي لله تعالى؟!

فقال الحاج: اسس الطريق كثيرة ولابد من العناية بها والتركيز عليها وكلما احاط العبد بهذه الاسس ازداد كماله اما إذا قصَّر بأحد هذه الاسس فأنه سيحرم السعادة الحقيقية، وعلى الإنسان السالك ان يبذل روحه في سبيل الحفاظ على هذه الاسس ولكن بحب ورغبة واشتياق، وعلى المريد ان يعرف من أين وفي أين والى أين وهذا قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: (رحم الله عبدا عرف من أين وفي أين والى اين)

يا هدهد الصبا إني مرسلك إلى سبأ

فتأمل من أين إلى أين اني مرسلك

ومن أسف أن يبقى طائر مثلك في مزبلة الغموم
ومن أجل ذلك فأنا ارسلك من هنا إلى عش الوفاء
وفي طريق العشق لا فرق بين مراحل القرب والبعد
وأنا اراك عيانا وارسل اليك الدعاء والضراعة
وتعال يا رفيق الدرب فقد جلب اليك هاتف الغيب بشرى الانباء
فقال: اصبر على الداء فأني مرسل اليك بالدواء

وان اول اساس في الطريق هو ولاية محمد وآل محمد فأن ولايتهم أصل طريق الله تعالى ولا يمكن للمريدين والسالكين والعارفين من رفع الحجب أو عبور طريق الكمال أو الحصول على المقامات الكبرى من دون التمسك بطريق الائمة المعصومين عليهم السلام وقد ورد في الروايات (ولاية علي بن ابي طالب حصني فمن دخل حصني امن من عذابي) أو ما ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: (من سرَّه ان لا يكون بينه وبين الله حجاب حتى ينظر إلى الله وينظر الله اليه، فليتول ال محمد، ويبرأ من عدوهم، ويأتم بالإمام منهم، فأنه إذا كان كذلك، نظر الله اليه، ونظر إلى الله) فولاية أهل البيت ومحبتهم ومودتهم والحزن لحزنهم والفرح لفرحهم والتوسل بهم وزيارة قبورهم المشرفة اصل عالم الكمالات وسنام وادي المقامات ولم ولن تجد أستاذ أخلاق لم يؤكد على ذلك ومن المواقف المهمة التي تؤكد على هذا الأمر ان أستاذ أساتذتنا المرحوم

السيد علي القاضي كان قد طرد أحد المريدين الذين قصدوه من مكان بعيد ولم يزر اولا الحرم المطهر للامام علي بن ابي طالب عليه السلام وقال له: لن تنهل من عندي شيئا أبدًا.

ان كل من لم يعش في عالم الولاية الحقة لآل الله يكون محجوبا عن الحقيقة ولو عبد الله الاف السنوات، كما لا ينال الشهود الحقيقي البريئ من كل زيف وخداع ووهم...

والكلام عن الولاية وشؤونها موضوع طويل وفيه مسائل كثيرة جدا ولها علاقة بموضوع التوحيد الكامل والقرب الشامل، ويبدو لي ان اعظم نص يستطيع المريد ان يفهم مقاماتهم عليهم السلام من خلاله هو الزيارة الجامعة الكبيرة

- وصار الحاج النداف يشرح لنا ابعادا عظيمة في علاقة ولاية أهل البيت بالتوحيد والعرفان والشهود، والحق اني لم اسمع كلاما بهذا العمق أبدًا فقد كان يتحدث بمطالب عالية صعب علي فهم بعضها، ثم قال:

ولكي تعم البركة جلستنا اود من أحد شبابنا ان يقرأ لنا رواية (من مات على حب آل محمد) التي نقلها صاحب الكشاف ونصلي على محمد وال محمد بعد كل فقرة.

فقام أحد الشباب واستخرج الرواية من كتاب من موبايله وصدح قائلا:

عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

(من مات على حب آل محمد مات شهيدا،

ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له،
ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا،
ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الإيمان،
ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير
ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها
ألا ومن مات على حب آل محمد ﷺ فتح له في قبره بابان إلى الجنة،
ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة،
ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة،
ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله،
ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا
ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة.)

- وسادت اجواء مفعمة بالولاية وحب أهل البيت ثم قام شاب اخر فقرأ مجلس التعزية على مولانا الإمام الحسين عليه السلام. وانتهت الجلسة بهذه الروحية والنورانية.

حديقة الجامعة

كعادتي في الوصول إلى الجامعة مبكرا، تجنبا للازدحامات، وللجلوس في الحديقة قبيل المحاضرة الأولى لبرهة من الوقت، ولمراجعة بعض المواد...

وقع نظري على ذلك القوام الملكوتي الذي تجلبب بالعباءة الزينبية، وتلفَّع بالعفة الفاطمية، وهي تمشي مشية الحياء والاحتشام...

انها زينب قد عادت للدوام بعد حادث الدراجة المؤسف، وقد توسطت زميلاتها في المشي، وبمجرد ان وقع نظري عليها طأطأت رأسي وشكرتُ الله تعالى على سلامتها وكأن الأمر لا يعنيني - مع أن ميل قلبي لا استطيع أن أخفيه - الا انني كما يقول الحاج الندَّاف:

[اللي يريد يشوف الطيور الملكوتية، يغض بصرة من دبيب الملك]

- الا انني فوجئت بقدومهن عليَّ فبادرت إحدى صديقاتها

- السلام عليكم

- بإرتباك: وعليكم السلام ورحمة الله، حياكم الله، اهلا وسهلا.

- قالت زينب بصوت تضطرب بعض حروفه: السلام عليكم اخي، حبيت اشكرك على موقفك ذاك اليوم أنت وابونا شيخ يقظان، اسأل الله ان يوفقك بحق الحسين عليه السلام.

- لا، بالعكس لا شكر على واجب، هذا تكليفي، والدكم صديقي، وأنت زميلتي بالدراسة واختي

- تجرأت قليلا: شلون صرتم؟! ان شاء الله احسن؟!

- الحمد لله، الحمد لله.

وهنا بادرت إحدى زميلاتها، ولم ارها من قبل، يبدو انها من قسم آخر، ويظهر عليها قوة شخصية: (العفو أنت منين تعرف شيخ يقظان؟! زينب تگول اجه ويَّاه؟!)

- شعرت ان هذا السؤال سيفتح لي نافذة التعرف على هذه المجموعة النقية ولعلها تكون بابا للقرب من زينب

- شيخ يقظان والدي الروحي، كنت ضايع ولكاني، كنت عاصي ورجعني لله تعالى، ولي معه قصة عجيبة وغريبة يمكن ما يسمح وقتكم بسردها

- هنا قاطعتني هذه البنت وقالت: كل احنه تلميذاته، واخيرا وجدنا شاب هنا يعرف هذا البحر الرباني!

وسط صمت مني قالت الفتيات: نستأذن منك

في أمان الله

فقلت بسرعة لهذه الفتاة: معذرة اختي، أنت وين تداومين؟!

فقالت: انا اختك لُجين هادي، طالبة مرحلة ثالثة، كلية القانون.

- تشرفت بكِ

في أمان الله.

شعرت ان هذه الفتاة ستكون بوابة خير عليَّ في معرفة زينب ومفاتحتها بموضوع زواج!

* بين سورة الفاتحة والاسم [الفتَّاح] سرٌ عميق، وحدٌ دقيق، يفهمه من يسعى لتزويج العقل من النفس، وربط القلب بالقدس، ومن تأمل في حرف [فاء] الموجود في الاسم الفتاح واسم الفاتحة (التي تخلو من حرف الفاء مطلقا)، بلغ بداية سر الاسم [الفاطر] ولاح له خيط من أسرار اسم فاطمة عليها السلام.

لم أستطع الانتظار إلى يوم آخر فقصدت كلية القانون بعد انتهاء اول محاضرتين وسألت عن اسم الطالبة فدلوني على مكانها وقد كانت لا تقل حشمة والتزاما عن زينب، وقد التقيت بها وكانت محرجة لوحدها فقلت لها على نحو العجالة

- لدي أمر يتعلق بزينب واريدك واسطة خير واسال الله ان لا ترديني، فاعطتني رقم تلفونها وقالت تواصل معي عصرا وانا اختك وبخدمتك، وقد شعرت انها فهمت الأمر مباشرة.

وفعلا راسلتها عصرا على الوتساب وقد كانت تضع صورة شيخ يقظان على حسابها الشخصي في الوتساب ومكتوب تحته (الأب الروحي)...

ـ السلام عليكم

ـ عليكم السلام

ـ خويه اني حسن، اللي اخذت رقمكم اليوم، بخصوص زينب!

ـ نعم اخي تفضل!

ـ خويه اني راغب بالارتباط بزينب، بس ما أعرف شنو رأيها، فكلت قبل لا افاتح الشيخ يكل لأبوها اشوف رأيها إذا توافق اتوكل وإذا ترفض فما صار شي!

ـ وهنا ردت لُجين بعبارة غريبة لم افهما، قالت: **[نحن أطفأنا الأنوار من أراد ان يرانا فليحرق نفسه!]**

ـ ما فهمتكم!

* لم تأت الأسرار الا بثوب الغرابة، ولا تأت الغرابة الا بثوب الاحتجاب، ولا يأت الاحتجاب الا بالدلال، وسر الدلال هو الحب، وروح الحب هي المعرفة، ولا تأت المعرفة الا بالجهد ولا جهد كالمجاهدة فتأمل الكلمات الحكيمة تجد الحقيقة شمسا طالعة ساطعة!

ـ ان شاء الله خير خويه، اني اتكلم وي زينب وارجعلك خبر.

ـ شكرا لكِ، في أمان الله

ـ الله معاك اخي.

■■■

وادي الغضب

بعد الساعة ١٢:٠٠ أرسل لي عمار رسالة على الوتساب:
- السلام عليكم حبيبي حسن (سمايل حزين).
- عليكم السلام، عيوني عموري، شبيك حبي ضايج!
- ولك حسن تعبت من الذنوب أريد اتوب!!
تعبت من الهوسة اللي بداخلي!
تعبت من الطيش واللعب والتفاهة،....
- علكيفك عيوني وحدة وحدة، شبيك!
- احس بنفسي ضايع مع ان كلشي موجود عندي!
احس بنفسي تايه مع انه ماكو مكان ما اندله!
تعباااااااااااااااان!
- عمار حبيبي: أنت كلشي موجود عندك ما عدا طاعة الله!
وكلشي تندل بس درب الله ما تندله (واعتذر على هاي صراحتي)
- لا حسن، سولف كمل، احجي علي ورزلني وانبني اني من الاخير ما عندي صديق غيرك، والليلة قررت اتوب وارجع

لله فارجوك أريد تخلي ايدك بايدي وتنتشلني من الضياع اللي اني بيه، ارجوك أريد ارجع لله وبعد ما اروح للقذارة اللي اني عايش بيها حشاك.

- سهلة حبي - لا تقلق، الله يقبل (انه كان غفَّارا)، باجر أمر عليك وره العشاء ونسولف.

- لا تعال اتعشى يمي بداعتي، أو نطلع نتعشا بره.

- لا حبيبي، اتأخر عليك لأن عندي موعد...

- ماشي، براحتك، في أمان الله، أحبك

- اني هم احبك يخايب هههه

في أمان الله

* وإذا شاء الله ان يرجع عبده إليه جعل في قلبه ضيقا من الدنيا، وكرها للذنب، ونفورا من نفسه، ثم مدَّ له حبلا جميلا اسمه (تعال الي يا عبدي) وناداه بصوت رقيق (اشتقت اليك يا عبدي) ثم قرَّب الحبل من يد العاصي ودعاه، ودعاه، ودعاه حتى يضع العبد يده بالحبل فيجرّه بقوة اللطف وعنف الحب وشدة الشوق فيحيله من العصاة إلى الطاهرين ويبدله مكان النجاسة بمكان الطهارة.

اغلقت الاتصال والنت من الجهاز ووقَّتُّ المنبة لوقت السحر - قبل صلاة الفجر بساعة - لأستيقظ لصلاة الليل والدعاء، وتوجهت لله تعالى وشكرته على يقظة هذا الشاب

الذي كنت لا أقل اخطاءا منه، وذهب ذهني بعيدا إلى حيث ايام المعصية ثم شكرت الله تعالى وتذكرت ان لدي موعد مهم غدا مع شيخي اليقظان، فقد اتممت أربعين يومًا في مجاهدة الملكة الأولى وهكذا سلَّمتُ نفسي للنوم...

واني لأهوى النومَ في غير حينه
لعل لقاءً في المنامِ يكونُ
تُحدثني الأحلامُ أني أراكم
فيا ليتَ أحلامَ المنامِ يقينُ
شهدتُ بأني لم أحل عن مودة
واني بكم لو تعلمين ضنينُ
وأن فؤادي لا يلينُ إلى هوىً
وإن قالوا: بلى، سيلينُ

بعد صلاة الظهر قصدتُ بيت شيخي اليقظان لأطلعه على مجريات أحوال نفسي بعد اربعين يوما من الالتزام بالبرنامج الذي وضعه لي والمجاهدة المستمرة في ترك النظرة المحرمة، وما ان وقعت عيني عليه القيت نفسي في أحضانه فاعتنقني وهو يقول:

- هلا بويه حسن، الله يوفقك، الله يرعاك...

- ولما طاب بنا المقام وبعد السؤال عن الأحوال، وشؤون الدراسة، نهض إلى داخل الدار وجاء لي بكأس ماء وشاي وجلس.

قلت له: شيخنا كملت برنامجي، وبالنسبة للملكة تقريبا ابتعدت عنها.

ـ احسنت، اسأل الله ان يوفقك.

ـ ثم اخبرته عن اموري الخاصة التي حصلت اثناء هذه الاربعين وصار يفك لي شفراتها، ويحل لي رموزها، ويعالج لي مشاكلها.

ثم نبهني على اخطاء وتعثرات وامور خاصة ـ وكأنه يعيش معي في كل لحظاتي ـ ثم قال لي

ـ اما بالنسبة للبرنامج فأعده عشرة ايام واما الملكات فلنعبر إلى الوادي الثاني

ـ فقلت بدون أن يسألني: الغضب!!!

فقال: الغضب. يا ولدي. نار حارقة للباطن، وهو جهنم السر إن كانت بغير موضعها، ولذا قال أهل الباطن:

(الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة، إلا أنها لا تطلع إلا على الافئدة، وإنها لمستكنة في طي الفؤاد إستكان الجمر تحت الرماد، وتستخرجها حمية الدين في قلوب المؤمنين، أو حمية الجاهلية والكِبر الدفين في قلوب الجبارين، التي لها عِرق إلى الشيطان الرجيم)

ولا يمكن للمريد ان ينال، ولا للسالك ان يطال، ولا

للعارف ان يرى وفي قلبه غضب بغير محله فتذكر هذا الأمر وراقبه فأنه خطير جدا...

ثم قال وجريا على النسق الذي اعتدنا عليه تأمل ما قيل في الملكة التي تريد أن تجاهدها، فأنظر إلى ما قيل عنها في القرآن الكريم والروايات الشريفة وكلمات العلماء الربانيين ففي الغضب مثلا وردت عدة روايات منها:

١ ـ قال رسول الله ﷺ: (الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخلُّ العسل).

٢ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام: (الحِدَّةُ ضربٌ من الجنون، لأن صاحبها يندم، فأن يندم فجنونها مستحكم).

٣ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام: (إنَّ هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم، وإنَّ أحدكم إذا غضب احمرت عيناه، وأنتفخت أوداجه، ودخل الشيطان فيه، فأذا خاف احدكم ذلك من نفسه، فليلزم الارض، فأن رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك)

٤ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: (الغضب مفتاح كل شر) وقال: (إنَّ الرجل ليغضب فما يرضى أبدًا حتى يدخل النار) وقال: (الغضب ممحقة لقلب الحكيم) وقال: (من لم يملك غضبه لم يملك عقله)

ولكي تستزيد من معرفة هذه الملكة المهلكة ارجو منك قراءة ما ورد عنها في كتاب جامع السعادات للشيخ محمد مهدي

النراقي في جزئه الأول فأن في كلامه كفاية المعرفة ونهاية الدراية...

وارجو منك الالتزام بالاذكار التي تقلل حدة الغضب واهمها كثرة الصلاة على محمد وآل محمد بنية رفع الغضب...

ـ ثم قال لي: علمتُ أنك تحضر الجلسات المعنوية في دار الحاج النداف وهذا أمر جيد فهي تؤسس لك قاعدة معرفية رصينة في الطريق ولكن اتمنى ان لا تؤثر على تفوقك الاكاديمي فانا آمل ان تكون طبيبا حاذقا ينفع الامة ويخدم المجتمع فاحضر الجلسات شرط عدم ضررها بدراستك.

فقلت له: اكيد شيخنا إذا عندي امتحانات مجاي اروح!

قال لي بروح كلها ابويه: اعتن بامك وداريها وخلي ببالك مستحيل توصل لأي مقام إذا ما راضية عليك فاحسن لها وبرها، ولا تخالف كلمة امك...

■■■

مطالعة متقطعة!

[يعبر المريدُ مع أستاذه وديان المجاهدة، فيتخلص من غيلان ملكاته السيئة، ويقتل افاعي المعاصي، واحدة تلو الاخرى، إلى أن يصل إلى منازل الكمالات فيتخلق بأخلاق الله وأنبيائه وأوصيائه والأولياء، عبر دساتير محكمة، وبرامج دقيقة يعطيها له الأستاذ، وفق ما يراه مناسبا، بمُدد متفاوتة، واوقات مختلفة، وهنا يُضاء قلبه بلمحات معنوية، وخواطر ربانية، واشارات ملكوتية، تجذبه إلى ساحة الحب الإلهي، فيتعلق قلبه بالملأ الاعلى، ويأنس بالوصال، وينشرح قلبه بالذكر، فيغوص في بحار الحب، ويسبر غور الدرب، فتشرق على قلبه شمس المعرفة، وتبدأ قصة الكشف والشهود، وحكاية التجليات والمعاينة، فيرى العجائب والغرائب ويشاهد الحقائق فيأكل من جنان المعرفة الشهودية ثمار المكاشفة فيصبح من العارفين الذين...]

بينما انا منهمك بقراءة هذه السطور من كتاب اعطانياه الشيخ اليقظان وطلب مني مطالعته وإذا بأمي تناديني

(ماما حسن... تعال عندي كلام وياك)

اهلا ماما، السلام عليكم.

- عليكم السلام ماما، شلونك؟

- الحمد لله، بخير.

- ماما أريد اتكلم وياك بموضوع زواجك، اني شايفتلك بنت وهي بنت حبابة وتناسب مقامنا ومستوانا!

- من دون أي تردد قلت لها: مع كامل احترامي لقرارك ماما، بس اني في بالي طالبة وياي بالكلية، وبيها المواصفات الي اتمناها لرفيقة عمري، من دين وأخلاق ونجابة اصل وشهادة وثقافة وهي من نفس اختصاصي يعني يمكن نكمل حياتنا سوى...

- اندفعت بالكلام واسترسلت بقوة حتى لا اسمح للوالدة بأن تصر على رأيها...

ووسط هذه السيل الهادر من الكلمات انظر إلى امي وهي مبتسمة

ثم انفجرت بالضحك...

- لعد أنت شكد بسيط، وسهل!!!

قالت هذه العبارة وهي ضاحكة

- قلت لها: شلون؟!

- قالت: ردت اجرك لموضوع الزواج واقنعك بيه، فقررت اتقدم خطوة فبدل ما اكلك ليش ما تتزوج فرضت عليك زوجة

وهمية وإذا بيك تطلع كل العندك، يا الله عيني نروح نشوف هاي الاميرة الما كدرت تكتم موضوعها.

- لا مو هيج، أنت ما فهمتيني، اني اندفعت بسبب حكمة للحاج النداف!

- منو هذا؟! وشيكول؟!

- مو مهم من هو بس يگول:

[إذا بلغت وادي الحقيقة فقاتل على البقاء ولا تفكر بالرجوع إلى الوهم، إذا وصلت لمشارف المدينة ففكر بالباب، ولا تفكر بالتقهقر، إذا دخلت القلعة فلا تفكر دون كرسي الملك، وإذا بلغت تخوم الارض ففكر بعنان السماء، تقدم يا فتى الحقيقة تقدم، ولا تقبل دون الحبيب]

- المهم، إذا البنت قانعتك شوفلنه موعد اروح اشوفها!

- قبَّلتُ رأسَها ورجعتُ إلى الكتابِ...

[الذين أنعم الله عليهم فرأوا العبارات اسماءً، والاسماء إشارات، والإشارات أرواح مهذبة، والأرواح لطائف محبَّة، والحب قنطرة الحقيقة، كما تخامرت أرواحهم مع ارواح الكاملين الخلق، فتخلقوا بأخلاقهم، وساروا على هديهم، وقد جعلوا من حياة الأنبياء والائمة المعصومين عليهم السلام فهم يعيشون بكل أحوالهم مع الحق وفي الحق والى الحق وتتجلى امام بصائرهم بوارق الأسرار، ولطائف الرموز فيرون ما لايراه الخلق، ويفهمون ما لا يدركه الناس، وقد بلغ بهم الشهود

عالية تكون العبارة عنها حجاب، والاشارة فيها سراب، والكشف عنها يباب، فراحوا يتنعمون بالنعم الرحيمية، والهدايا الربانية، والفيوضات الخاصة، بعد ان اجتباهم الله تعالى لما رأى فيهم صلاحا، وصفاءً]

رنَّ الوتساب (رسالة)

- السلام عليكم أخي، آني أختك لُجين

تسارعت يدي إلى الرد فورا وكأن فرحة تنتظرني...

- عليكم السلام هلا خويه

- اتمنى أن تكون بأفضل حال بألطاف مولانا إمام الزمان

أضافت

- أخي اني تكلمت مع زينب ولم تمانع مبدئيا ولكنها تشترط ان يجري لقاء رسمي بينك وبينها - بحضوري - لأن عندها شروط تتمنى ان تسمعها

- يا الله، جزاك الله الف خير، ما عندي مانع واللقاء مهم، والتفاهم اساس كل علاقة ناجحة، متى تحب واين؟!

- إذا ما عدكم مانع، يوم الأحد في المكتبة المركزية للجامعة

- تمام، إن شاء الله تعالى

- شكر الله سعيكم، في أمان الله.

- الله معاك

أخذتُ نفسًا عميقًا، واستلقيتُ على ألاريكة وكأن حياتي قد

تفتحت كالوردة وعشتُ شعورا جميلا وكأنني بدأتُ مسيرة ملكوتية لا مجال للرجوع بعدها...

وبعد ان شكرت الله تعالى عاودت مطالعة هذا الكتاب الذي وصفه شيخي اليقظان...

[... وإذا بلغ العبد هذا البحر الطمطام، المضطربة شواطئه، الآمنة لججه، وقد أبصر حياة النون وموته، وتطاير السمك وسكونه، وجريان الماء وتدفقه، واقبال السفينة وادبارها، قيل له اركب البحر وتولى امره بما فيه، فيدخل في السفر الرابع، ويجعل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر شعاره ودثاره، فينزل من حرّاء الكتمان إلى مكة التبليغ متأسيًا بسيد المرسلين ﷺ فيدعوا إلى الله تعالى، ويصرخ بأعلى صوته (إرجعوا إلى الله) ويعرفهم صور معرفته ويأخذ بأيديهم إلى طاعته، ويحبب لهم محبته ومحبة اوليائه، وهنا وبلا شك ستلتف حوله الارواح العطشى والنفوس الضامئة...]

- وهنا جاءني اتصال من عمار

- الو، السلام عليكم

- عليكم السلام، حبيبي عمار

- شلونك عيوني

- الحمد لله أنت شلونك

اني بخير، بس محتاج اشوفك ضروري، لأن عندي قرار مصيري، واريدك تكون حاضر بلحظة إطلاقه!

- شنو تريد تتزوج؟! هههههه

- الأمر أكبر من ذلك، خلينا نلتقي رجاء.

- بخدمتك حبيبي

- عادي السبت ليلا؟!

- ماشي، ما عندي شي، السبت العصر امرلك ونطلع نتمشى سوى

- ممنون عيوني، راح أكون بانتظارك، وعشاك علي

- في أمان الله

- في أمان الله

■■■

العشاء الأول

اليوم هو السبت، ولدي موعدٌ أشعر أنه مهم مع صديقي عمار، مع ان الليلة كما علمت من بعض رفقاء الطريق ان هناك جلسة في دار الحاج سعد النداف، حيث يجتمع الأصدقاء للحديث في شؤون السير والسلوك، ومفاهيم العرفان وطريق الله تعالى، إلا ان تلبية دعوة عمار مهمة أيضًا كونه اصر والح على ذلك...

صعدت سيارتي في الساعة ٤:٣٠ عصرا متجها إلى زيونة حيث بيت عمار، وفي طريقي كنت استمع إلى سورة (ق) حيث ينصحني الشيخ اليقظان كثيرا بالاستماع إليها أو قراءتها مع التدبر وقد قال لي ذات يوم عن سر (ق)

(يتدكدك جبلٌ، ويزول آخرٌ، ويسيرُ ثالثٌ، ويُبيَّتُ رابعٌ، ويحيطُ خامس!

وبين النسف والخر قصة اخرى...

[وشي تصير گنون، وشي مغارات، وشي كهوف... چا شنو ربطها بـ المشكاة]؟!

هكذا هي سيرة المملكة العظيمة، فسيدها (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) وقد اراد لها ان تختلف وتتطور!

تقوم الخلائق على التحول والتبدل والتغاير ولو بقي الحال لتمنوا الزوال كما يتمنون البقاء الآن!

[وشمس الجمال طالعة بهاي چنها ناگه!]

فقد وردت أحواله في أكثر من اربعين موردًا فتأمل وهو خلق الله الشديد فكيف بالضعيف؟! [اذا هو هيچ چا البزل والجعيفر شلون]

و (ق) أعلاها واجلها وهو وان تراءت لك مقاماته الاخرى الا انه يحيط وبه تتجلى الاسماء التي يتصدر غرة مطالعها ولا يمكن فهم هذا المقام الا بفهم المقامات السابقة له فلا تعجل!

[ما يجي منااااااك كامل الا محمد وآل محمد والبقية تگوم وتعثر وتحبو وتركض وتوصل، وهذا المسير بحد ذاته يكشف عظمة أهل البيت - لمن في جوفه - گلب والبگلبه عين والما عنده شيسووله؟!]

واعلم: ان من لا يعرف تقلبات الأحوال، وتغيرات الشؤون، ومطالع قرون الزوال لا يعرف ثبات المقام، واستقرار البطون، ومغارز منابت البقاء [تعرف الشي بعكسه وضده، من تشوف جاهل ويشبرك تعرف قيمة ذاك العالم وتتبرك]

وهذا ما ورد مضمونه عن صادق الأولياء وامام الخليقة اخو القرآن سيدنا جعفر الصادق عليه السلام

ولذا سمي القلب قلبًا لتقلبه وعدم بقائه على امر، وان أي

عين بصيرة تجول في هذا الوجود ستدرك ذلك بلا تعب ونصب وفي ذلك سرٌّ دفينٌ، وكنزٌ ثمينٌ ازال غباره سيد الشهداء ساكن كربلاء بقوله: (إلهي.. علمتُ باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار أنّ مُرادك منّي أن تتعرّف إليّ في كلّ شيء حتّى لا أجهلك في شيء)

ويدرك سر (ق) بهذا النص لمن تأمل والقى السمع وهو شهيد)

ها قد وصلت إلى بيت عمار وهذا هو ينتظرني والشغف باد على عينيه...

- السلام عليكم

- عليكم السلام، هلا حبيبي عمار، شلونك

- بخير، بخير، نروح لمطعم..... خوش بيه كعده معزولة!

- ماشي حبيبي

وصلنا إلى المطعم وقد جلسنا في مكان شبه منفرد وجميل وكان امامنا حوض لأسماك الزينة وقد أسرني منظرهن لكني التفتت إلى سمكة تضرب برأسها الزجاجة وكأنها تريد الخروج، فكنت انظر إليها بدقة وعمار منتبه لي وهو مبتسم فقال:

- خيرك حسن!

- كتله شوف عمار بعضنا مثل هاي السمكة الناس تشوفه زينه بس هو يعرف نفسه مسجون يريد يكسر القيد وينطلق

- صحيح، بس هاي السمكة إذا كسرت الزجاجة وطلعت للهواء تموت!!

- وليش تطلع للهواء إذا كسرت الزجاجة، خو ترجع للبحر!!

*** إذا كانت السمكة بلون الماء فأي صيَّاد يستطيع أن يصطادها؟! وإذا كان الماءُ في بطن السمكة فأين يجلس الصياد؟! وإذا كانت السمكة قد ابتلعت الصياد فمالنا ومال حديث الصيد؟!**

نظر الي عمار بحيرة مشوبة بلهفة وقال: شوف حسن اني أريد اخبرك بقرار اتخذته وهو قرار مصيري وحاسم ويمكن يغير كل حياتي!!!

- يا الله، كول حبيبي

- قبل لا اكلك خلي اقدملك مقدمة صغيرونه

- تفضل

- اكو بقصة سيدنا عيسى المسيح مفردة اسمها العشاء الاخير اللي جمع بيه المسيح الحواريين وتناولوا آخر عشاء لهم وبعدها صار اللي صار (هو ارتفع للسماء) وانتهت الحكاية ـ اقصد حكاية وجوده الجسدي مع حوارييه والامة ـ اني هنا أريد اسوي نفس القصة بس بالعكس!!

- يعني شلوووون؟!!!

- يعني أريد اجعل هذا العشاء وياك هو اول عشاء وهم ارتفع!!!

ـ مجاي افهمك، إذا امكن توضح!!

ـ أريد ارتفع للسماء، يعني أريد ارجع لله، واحلق في عالم الكمالات!!!

ـ اني بلهفة وضحكة وتفاجئ من الربط صحت:

اللهم صل على محمد وآل محمد...

يا محلى هذا الخبر، بس بصراحة الربط يخبل...

ـ اغرورقت عيون عمار بالدموع وقال بحرقة عجيبة:

حسن تعبت!!

اريد الله، تعبت، هواي ابتعدت عنه وهو ما عافني، خلصني من اشد المحن، سترني باشد الفضايح، دافع عني واني المخطئ، لكالي مخرج بأضيق الطرق، سافرت لابعد البلدان حتى اعصيه رجعني سالم لأهلي لا غركني ببحر ولا طيح بيه الطيارة، صرفت الاف الدولارات علمود لذاتي وشهواتي ما فقرني ولا نقص فلوسي، هتكت حرمات بس الله يدري بيها رجع سترني وما حاجاني، اني ما اصلي، ولا اقرا قرآن، والمعصومين صار سنين مزايرهم، اسمع اغاني، واشرب خمر، واعمل كل المحرمات.....

جاوبني: الله يقبل هيج مخلوق تافه وحقير ومذنب؟!!

بينما كان عمار يسرد كل هذا كنت ابكي بكاءً مرًّا، وقد سالت دموعي على خدي، وانا اتذكر لني لم اكن أقل منه

فكيف جعلني الله بهذا الحال العظيم حيث يأتيني رفيق نزواتي ليتوب أمامي....

ـ شوف عمار، راح اكول شيء بسيط سمعته من ناس مؤمنين وأنت افتهم بعد يكول نقلا عن الائمة المعصومين ﷺ ان الله يفرح بتوبة الإنسان المذنب مثل ما يفرح المسافر إذا رجع لأهله وصارله سنيييين ما شايفهم!!!

يفرح بتوبة الإنسان المذنب مثل العطشان إذا وجد ماءً!!

التائب حبيب الله يا حبيبي، يلا توكل وارجع لله وعاهد الله على ان تصلي الصلاة الواجبة وباجر تروح وياي لمكان كلش راح يعجبك!!

ـ فديوم حسن لا تعوفني، تره ما امن من نفسي!!

ـ ما اعوفك حبيبي، وراح نبدي من جديد!

ـ علمني، شلون اتوب؟!

ـ التوبة سهلة، تستغفر الله من الذنوب، وتعاهده ما ترجع للمعاصي، وتعمل الواجبات، وتأدي الصلاة...

*** كم هي لحظة سعيدة تلك التي يأتي بها الماء لزيارة الوردة الذابلة، فيسقيها بالوصال، ويحييها بالاتصال، أيوجد عاقل يقول ان الوردة هي التي ذهبت إلى الماء؟!**

ـ باجر تعال علي نروح بالليل لمكان يعجبك...

ـ ان شاء الله تعالى

الجلسة الثانية

ظهرا اتصلت بالحاج سعد النداف، واخبرته اني أود حضور جلسة الليلة ومعي صديق ارغب باصطحابه معي فقال: أهلا وسهلا بكما...

بعد ان تناولنا العشاء ببيتنا انطلقت انا وعمار إلى دار الحاج النداف وكان عمار متحمسا جدا لرؤية هذه الارواح النقية بعد ان كلمته عن بعض أحوالهم، وأخلاقهم، وإيمانهم...

وصلنا إلى دار الحاج وقد فتحها بنفسه ورحب بنا ولكنه سلم على عمار بطريقة عجيبة وكأنه يعرفه منذ سنوات مع ابتسامة حانية وقد عانقه وحيَّاه...

دخلنا إلى صالة الاستقبال التي كانت شبه ممتلئه بالحاضرين وما ان دخلت حتى وقعت عيني على إنسان عيني الشيخ اليقظان - ولم اكن اعلم بمجيئه - فعانقته بحرارة وهو كذلك وقال لي: مشتاقين، فقلت له: بويه آني أكثر.

وما ان جلسنا وطاب لنا المقام علمنا ان الحديث كان قد ابتدأ وكان المتحدث شيخنا اليقظان فاسترسل مباشرة بقوله:

ـ الله متانيك، ليش تأخرت؟!!!

وهنا ارتفع صوت أحد الشباب بالبكاء، ووقعت عيني مباشرة على عمار الذي تسمرت عيناه على الشيخ وكأن هذه الكلمة وقعت كالصاعقة على رأسه، وحتى لا اشعره بشيء طأطأت رأسي، واصغيت بقلبي لهذا الصوت الرباني الذي جعله الله هاديا بابسط الكلمات واعذبها!!!

ـ نعم، الله متانيك، ليش تأخرت؟!!

ان الله ينتظر مجيء العبد ـ كلا بحسبه ـ العاصي والمؤمن والمريد والسالك والعارف والولي كل واحد له رجوع بحسبه...

حدثني عن نفسك، أي اي انت، ليش تأخرت؟! مو كافي جفاء، مو كافي ابتعاد، إلى متى شارد...

قال الشيخ اليقظان هذه العبارات وسالت دموعه على خديه وقال: إلهي اجعلني كـ قاسم!!

هل سمعتم بقصة قاسم؟!

في النجف الاشرف كان هناك شاب من العصاة والاشقياء ولم تكن له علاقة جيدة مع الله تعالى ولكنه كان يحب ويحترم العارف الكبير السيد علي القاضي (قدس سره) ويساعده بحمل بعض أغراضه أحيانا، وفي يوم من الأيام قال له السيد القاضي: أريد أن اطلبك طلبا بسيطا وارجو ان لا تردني...

فقال له قاسم: انا افديك بروحي يا سيد!

فقال له السيد: أريد منك ان تصلي صلاة الليل هذه الليلة!

وهنا استغرب قاسم وقال للسيد: سيدنا انا اتسكع لأواخر الليل مع أصدقائي ثم انام ولا استيقظ الا متأخرا...

فطلب منه السيد ان يفعل ذلك وأصر عليه وقال له ساوقظك من بعيد هذه الليلة بطريقة خاصة...

يقول قاسم: رجعت إلى البيت، ونمت على آمل الاستيقاظ وفي حدود الساعة الثانية ليلا نهضت فجأة من النوم وكأن احدا ايقظني وقد اتجهت إلى الماء وبمجرد ان وقعت عيني على الماء تغير حالي وشعرت بجذبة حقانية نحو الله تعالى فتوجهت إلى الله تعالى وقلت:

(إلهي: لقد تأخرت في المجيء، ولكني أريد البقاء، فشدني اليك)

اني اجيت بس ما أريد ارجع!

بعد هذه الكلمة صار قاسم من صلحاء النجف ومؤمنيها...

فعلى من جاء ان لا يرجع

- ووقع بصره على عمار!

شعرتُ في وقتها ان قلب عمار سينفجر من الحسرة، وبمجرد ان وقعت عيني بعينه سالت دموعه وعلم ان هذا الشيخ الملكوتي يقصده بكلامه، وبينما نحن كذلك قال الشيخ اليقظان:

(وليس فقط ينتظرك انما يشتاق اليك!!!

نعم احبائي، ان الله تعالى يشتاق لوصال خلقه، ولرجوعهم إليه ولذا ورد

(لو علم المدبرون عني مدى شوقي إليهم لماتوا شوقا)

الان انتقل الأمر إلى ما هو ابعد من الانتظار تعدى إلى الشوق وتخيل ماذا سيكون حال المشتاق لو رجع إليه الغائب!!

وهنا علت صراخات المحبين وبين اصواتهم صرخ عمار: يا رب يا رب يا رب...

فكفكف الشيخ اليقظان دموعه وسكت وكأنه كان ينتظر هذه الصرخة القلبية ليحلق هذا الطائر الجديد في سماء الملكوت فيما انطلق صوت صديقي عمار بالبكاء والنحيب...

* وإذا جرت دمعة الندم على الخدود، حفرت انهار التوفيق في طريق التائب، وسقت نبتة المحبة في القلب، وكم تشبه هذه الدمعة قطر السماء، وعين الماء فاغتنمها أيها النادم العازم على ترك الخطايا، وهجر معبد الاوثان.

ساد صمت رهيب في الجلسة بعد هذا الحال الروحاني الذي غطى المكان، والكل قد طأطأ برأسه، وخشع لربه، وبينما نحن وسط هذا الصمت الجميل تخلل الاسماع صوت الحاج سعد النداف قائلا:

(شيخنا: يقال ان لكل صحابي من صحابة رسول الله

الصادقين، واصحاب الائمة المعصومين أحوال خاصة، واشارات ربانية عظيمة تنفع المريدين والسالكين في طريقهم فاتمنى ان تحدثنا ولو بقدر بسيط على بعض أحوال الصحابي العظيم عمار بن ياسر!!!)

❁ سبق وان قلتُ لك يا رفيقي: ان أهل الله موفقون في كل شيء، في كلامهم، وافعالهم، ومقاصدهم فهم بتوفيق الله يضعون العلاج للمرض ولا يرمون سهما في الهواء ابدا، ان الله يجعل في كل تصرفاتهم عنايته وتوفيقه وتسديده...

استغرب صاحبي عمار من السؤال مع ان الجميع لا يعرف قصة صديقي عمار ولا حتى اسمه...

قال الشيخ اليقظان: حسب علمي ان جلستكم منذ ليال تدور رحاها حول اركان طريق الله تعالى واعتقد ان كلامي وسؤال خارجان عن تخصص الجلسة ولكن مع ذلك لا ارد لك طلبا، ولا ارفض لك قولا...

(عمار اسمه من عَمَرَ أي بنا العمران، فمن اسمه عمار عليه ان ينطلق بعمران قلبه، ولعل من اعظم الدروس في حياة هذا الرجل الإلهي هي انه ضحى باهله من اجل طريق الله تعالى فقد رآهم يستشهدون امامه ولم يترك العبودية الحقة لله تعالى، وقد عمل بالتقية التي هي دين الله الحق، ولا تنسى انه استشهد مع حضرة الإمام الحق مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام....)

ثم شرع ببيان بعض الأحوال الخاصة به (رضوان الله عليه)

إلى أن قاربت الساعة العشرة والنصف فقال: استأذنكم وقام وبقيامه قمنا جميعا وانفض المجلس ورجعنا انا وعمار وكان مصابا بالذهول، والتعجب، والحيرة، واول ما صعدنا السيارة قال لي بدهشة: ولك حسن ذوله شنو من بشر؟!

معقولة اكو هجي ناس؟!

ليش جنت ضامهم عني؟!

يابه ذوله ملائكة مو بشر!!!

كان مصدومًا جدًا، ومستغربًا، ومدهوشًا، من كلامهم وكيف جاء وكأنه عنه فقط...

■■■

لقاء المكتبة

يوم الأحد هذا يوم ممطرٌ، وجميل، والجو ملبدٌ بالغيوم التي تنتسج فوق السماء كأنها سجادة طرزوا عليها آيات الكتاب المجيد، وكأنها ترتل آيات الحبِّ الإلهي، وسور القرب الرباني، وبينما كنت اسير من كلية الطب نحو المكتبة المركزية للجامعة بدأت قطرات الغيث بالنزول كأنها رسائل من الحبيب لمحبيه نصها: أحبكم!

وصلت إلى المكتبة التي كانت تضج بالزائرين من الطلبة، والباحثين، والدارسين، وهي مكتبة كبيرة تضم امهات المصادر والمراجع في كل العلوم والفنون والمعارف ويقصدها الباحثون من الجامعة وخارجها، ومع كثرة إنتشار المكتبات الالكترونية الا ان هذه المكتبة قد بقيت محافظة على استقطابها للدارسين والباحثين...

وبينما كنت اتصفح كتاب (كيمياء المحبة) الذي أهداني إياه الشيخ اليقظان وإذا بعيني تقع على لُجين وزينب وهما قادمتان من الباب الرئيسي للمكتبة، لُجين تلك الفتاة التي تظهر معالم قوة شخصيتها من خلال مشيتها ونظراتها، وكأنك تتعامل مع

انثى ربتها فحول الرجال، وهي ترتدي الملابس الفضفاضة وتمسك بيدها المسبحة الالكترونية وقد علمت من بعض أصدقائي في كليتها انها الأولى دائما بلا منازع، وهي بنت أحد رجال الدين (الخطباء) وهو وكيل أحد مراجع التقليد...

العباءة الداكنة السوداء التي ترتديها زينب جعلتها كأنها ليل في أعلاه قمرٌ منير، تقدمتا نحوي وقد قمت من مكاني لأرحب بهما، وقد كان الحياء باديا على زينب بطريقة عجيبة، والارتباك قد لفَّ كل وجودها، حتى كأنها ترتجف من البرد...

* يختلط الحياءُ مع الروح النقيَة كأمتزاج الزيت بالحليب، ذلك لأن هذه الروح قد جاءت من عالم الحياء الذي نظروا إليه بعين الهيبة، فلا تتعجب من تعرق الجبين، واضطراب الاركان، ووجيب القلب!

جلستا امامي بعد القاء التحية والسلام، وهنا رأيت ان أكون أكثر جرأة فقلت:

- اني اتشرف بلقائكم، وهذا نوع من انواع التوفيقات اللي الله انطانياها واحب ان اتكلم بموضوع إذا ممكن...

- لُجين: تفضل خويه.

- اني من عائلة ما اكدر اكول عنها ان هي متدينة جدا لكن عائلة ملتزمة بالواجبات، ومحافظة على القيم والاعراف الموجودة، وعدها قدر جيد من الثقافة الدينية واغلبها اكاديميين، والدي متوفي (رحمة الله عليه)، والدتي مديرة

مدرسة، عندي اخوان اثنين واخت واحدة، صفاء رجل اعمال، وعقيل، واختي (دعاء) طبيبة اسنان، حالتنه المادية جيدة، هذا أكثر شي اكدر اسولفه عن وضعنا بصورة عامة، واني راغب بخطبتك والزواج منك على سنة الله ورسوله ومحبة مولاي أمير المؤمنين عليه السلام

* قالوا: ما لم تعرف النحلة روح الزهرة كيف تجتمع بها؟! وما لم تسكن روح الفراشة بروح الوردة كيف تستقر عليها؟! وما لم تميل الروح للروح كيف تعيش معها؟! ومالم تر الحقيقة معدن الطريقة وروح الشريعة كيف تأتي للعبد!!

قالت لُجين: عد زينب كلام إذا تسمح لها ان تسمعه منها!

- اكيد، اكيد...

- اولا اني اشكرك لحسن ظنك بي، وهذا من الطاف الله علي (يا من اظهر الجميل، وستر القبيح) ما اكدر اكولك اني بنت مثالية اكيد اني احاول ان أكون جيدة، واتمنى من مولاتي الزهراء ان تشملني بعنايتها وتلفني بعبايتها، ومثل ما أنت تحدثت عن حياتك العائلية فاحب ان اكول شي مختصر جدا حول حياتي العائلية: اني اعيش وي والدي ووالدتي واخوان ثلاثة في مدينة الصدر، ابوي أنت تعرفه، من تلاميذ الشيخ يقظان ومريديه، وهو فعلا من أهل الله، ربانا على الإيمان والطاعة والالتزام، اخواني بعضهم طلبة، وواحد خريج، حياتنا المادية بسيطة، كنا نعيش بالايجار إلى أن الله تعالى

وفقنا واشترينا بيتنا اللي شفته، وبالنسبة لطلبك فاني موافقة لكن بشروط ان تحب تسمعهن، ووموافقتي على الزواج مرهونة بموافقتك عليهن...

ـ تفضلوا...

ـ اولا: ان ما تترك مدرسة أستاذي الشيخ اليقظان، لأني اعتقد بيها مدرسة إلهية توصلنا لله تعالى، والاستمرار معه كفيل بأن يوصل الإنسان إلى درجات عالية، وهذا اللي شفته بوالدي فاحب ان يكون زوجي شبيه بوالدي من جهة الكمالات والأخلاق والاستقامة والسلوك...

[قالت زينب كلمتها هذه وعاد شريط الذكريات بي إلى ذلك الزقاق الضيق المظلم وصدحت بي من جديد كلمته: أحربٌ مع الله!!]

* ما اجمل أهل الله يوصي بعضهم ببعض!، يحب بعضهم بعضا!، يدافع بعضهم عن بعض، كأن الله جعلهم في عالم الحب كالطيور بسرب واحد، لا يفترقون، ولا يتباعدون!

ولأني لا أريد اطيل الكلام قلت مباشرة: موافق!

ثانيا: انا روحي متعلقة بوالدي ووالدتي كثيرا فاذا تسمح لي بزيارتهم متى ما اشتقت إليهم إلى أن استقر نفسيا بعد الزواج ولك الأمر والنهي بعد ذلك!

ـ هذا حق من حقوقك علي وما عندي مانع

- شكرا!

- ثالثا: ان ما اترك والدتك حتى إذا تخرجت وصرت دكتور وعندك عيادة، تعاهدني ان ما تخرج بيه ببيت وحدي، فمثل ما كنت عند اهلي اخدم امي أريد اخدم امك!

- بارك الله بيك، هذا المأمول من بنت الاصول

- رابعا: ان ما تمنعني من مزاولة مهنة الطب بعد التخرج، واعاهدك ان ما اجعلها عائق بيني وبينك ولا بيني وبين اهلك!

- اني ما اكدر امنعك من شي هو هدف حياتك وطموحك واحرمك من حق مشروع الك...

قالت زينب: اذن انا موافقة، وما عندي مانع، إذا تحب تفاتح اهلي اهلا وسهلا بك وقامت من مكانها ونهضنا جميعا

قالت لُجين: اذن خويه ارسل والدتك لأهل زينب واللي يريده الله يصير...

- ان شاء الله تعالى.

■■■

منـازلُ الكمالات

بعد ان انهيت معالجة اغلب الملكات السيئة وفق النظام الذي رسمه لي شيخي اليقظان، وقد كانت آخر زيارة له تخص ملكة (عدم حضور القلب في الصلاة والاذكار) وقد اجتزتها بفضل الله تعالى، وعناية النبي واهل بيته الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم) وباتمام معالجة الملكات يكون المريد قد عبر وديان المجاهدة وانتهى منها وانتقل إلى ما يسميه شيخي بمنازل الكمالات ولي معه الليلة لقاء حول ذلك بعد العشاء...

ذهبت إلى داره العامرة وكُلي شوق بمعرفة هذا المقام الجديد وأحواله ومنازله فقد كانت الاربعونيات السابقة شاقةٌ ومتعبة، وكأنك تقاتل خصما عنيدا ومتكبرا ولقد صدق نبينا الاكرم ﷺ حين عبر عنها بـ (الجهاد الاكبر)

* بينك وبين المعشوق وكر الافاعي... أنت جلدها وهي السم... وبعده جبال الذئاب العاوية ومستنقع التماسيح...

فاذا اجتزت هذه المخاطر استعد لخوض المعركة الاخيرة مع الاشباح السود... وبقتلهن تكون قد انتصرت...

حينها تكون قد وضعت قدمك في اول خطوة بدرب العشَّاق...

استقبلني بابتسامته الملكوتية، ومعانقته الحانية، ولطفه الابوي وبعد ان طاب لنا المقام واستقر بي المجلس قال لي: أنت لقد انتهيت من اغلب ملكاتك السيئة - والحمد لله تعالى - ولكن من الذي يضمن ان لا تعود اليها؟! فالنفس

لا امان لها وليست بثقة دوما، فاياك اياك ان يأخذك الزهو وتعتقد انك قد انتصرت على هذا العدو الماكر، فابق على حذر منها ولا تركن إلى الكسل والدعة والخمول...

والان اود ان احدثك عن المقام الثاني في عالم السير والسلوك والعرفان وهو (منازل الكمالات) فاعطني مجامع قلبك، واصغ لي بكل وجودك كي تفهم مرادي، وتدرك مقصودي

- نعم شيخي، بخدمتك

- بعد ان استيقظ العبد من غفلته، ورجع إلى الحق بتوبته النصوح، سار في درب تزكية النفس فدخل فيما نسميه (وديان المجاهدة) حيث كل ملكة هي وادي سحيق بحد ذاتها، فدخل في هذه الوديان وعيناه مفتوحتان، وقلبه يقظ، يحمل سيف الجهاد بيده، وفأس التحطيم على عاتقه، ويلبس درع التقوى على صدره، فمر بالوديان واحد واحدا فقتل عقاربها، وقطع رؤوس افاعيها، ونازل غيلانها، وقاوم وحوشها، وحرق

كهوفها، ودمر اوكارها، حتى اجتازها صحاريها منتصرا بالله، وفاتحا بحوله وقوته فلواتها وإذا به يبصر بيوتا عظيمة، وقصورا كبيرة، ودورا جميلة، وقلاعا شاهقة وقد كتب عليها (منازل الكمالات) فنودي عليه: أيها المريد لا تبلغ الحقيقة حتى تتخلق بما في هذه المنازل من أخلاق، وتلتزم بما نُقش على جدرانها من آداب، وتلتزم بما غرسناه في بساتينها من سنن!

[اعتدل بجلسته وقال: خلي اوضحلك بصورة بسيطة شنو المقصود: العبد مو خلص من الذنوب؟! هنا اكو أخلاقيات، وتعليمات، وارشادات، وآداب لازم يأديهن هاي القضية تشبه واحد اشترى بيت خرابة فحتى يسكن بيه لازم اولا ينظفه من الانقاض والاتربة والاوساخ وبعدين يجلي يجمله ويأثثه فيصبغه ويجيبله اثاث ويخلي بيه اضاءة وهكذا]

- وهذه الكمالات كثيرة سأذكر لك اربعين منزلا منها:

١ - **(منزل الاخلاص)**: الإخلاص لله تعالى في كل نيةٍ، وقولٍ، وفعلٍ، وان يكون مقصوده في كل ما يصدر منه طاعة مولاه ونيل رضاه (عز وجل)، ويسير في عالم الاخلاص في النوايا والاقوال والافعال حتى يصل إلى مقام (الخلوص) فيكون كله لله تعالى.

٢ - **(منزل الشكر)**: فيكون المريد شاكرا عند كل نعمة، ومع الشروحات المستفيضة التي ذكرها علماء الأخلاق والعرفان والتي استقوها من القرآن الكريم والروايات الشريفة الواردة عن

النبي وآله الطاهرين، الا ان الشكر ببساطة هو ان يكون قلبه معترفا بأن جميع ما عنده من الله تعالى وانه مستخلف عليه، ولسانه لهجا بالشكر، وعمله موافقا للطاعة.

٣ـ **(منزل الصبر)**: فعليه ان يصبر على البلاءات التي تنزل به بقلب راض بقضاء الله وقدره، وان يكون حاله التوكل والتسليم والرضا والتفويض.

٤ـ (منزل القرآن الكريم): اذ على المرّيد ان لايفارق قراءة الكتاب المجيد وعلى أقل التقادير قراءة خمسين آية من القرآن الكريم والافضل ان يقرأ حزبا **أو جزءا يوميا**، وان لايفارق النسخة الشريفة منه في حلِّه وترحاله.

٥ـ (منزل الدعاء): اذ على المريد ان يقتني كتب الادعية المعتبرة وفي مقدمتها: الصحيفة السجادية، مصباح المتهجد، إقبال الاعمال، جمال الاسبوع، مفاتيح الجنان فعليه ان يخصص وقتا لقراءة شيء من الادعية المأثورة، وينبغي ان لا تفوته ادعية المناسبات كدعاء عرفة يوم عرفة، ودعاء كميل ليلة الجمعة، ودعاء الصباح والعهد والأيام صباح كل يوم.

٦ـ **(منزل الصلاة)**: فالصلاة كما تعلم (معراج كل تقي) و(عمود الدين) اذ على المريد ان لا يقصر تجاهها من عدة جهات اهمها، اقامتها بوقتها، حضور القلب والتوجه اثناء ادائها، الالتزام بالتعقيبات المأثورة واهمها تسبيح مولاتنا الزهراء عليها السلام.

٧ ـ **(منزل التوسل)**: ومع ان العلاقة بأهل البيت عليهم السلام لها صور عدة الا ان التوسل يعد من ارقاها بعد الولاية، فعلى المؤمن ان لا يفارق التوسل بارواحهم الطاهرة، ومقاماتهم السامية، وان لا يترك الالحاح في ذلك والاستشفاع بهم عند الله تعالى، وعليه ان يكثر من قراءة دعاء التوسل فأنه سر من الأسرار ومفتاح من مفاتيح فتح ابواب الفيوضات الإلهية.

٨ ـ **(منزل الزيارة)**: فلزيارة المراقد المقدسة للائمة المعصومين وابنائهم الطاهرين اهمية عالية في السير والسلوك والعرفان، وهي ركن من اركان الكمالات وبأمكانك قراءة كتاب (كامل الزيارات) لتعرف مدى خصوصية هذا المنزل وعلو مقامه، وعلى المريد ان لا يبرح ابواب محال قبورهم السامية فأنها منازل الفيوضات، ومهابط الكرامات، ومعادن الكمالات، فأن استطاع ان يزور مراقدهم المطهرة يوميا فليفعل والا فلأسبوع مرة واحدة أو بالشهر.

٩ ـ **(إحياء الامر)**: فعلى المريد ان تكون له قدم راسخة في احياء شعائر أهل البيت عليهم السلام وخدمة مولانا سيد الشهداء عليه السلام، بأن يكون من الباكين، أو الراثين، أو اللاطمين، فأن مواكب العزاء، ومآتم الرثاء مواطن الأسرار الإلهية، ومحال نزول الفيوضات الخاصة.

١٠ ـ **(منزل الصيام)**: فهو نافع جدا في طهارة الباطن، ونيل

الأحوال المعنوية الجيدة، وهو يورث المعرفة والحكمة والمحبة، وبأمكانك قراءة ما ورد بفضله وخصوصا في حديث المعراج، فحاول ان تصوم في الاسبوع يومين قدر امكانك.

١١ - **(منزل التهجد)**: فعلى المريد ان لا يترك قيام الليل، والتهجد بالاسحار، وان لا يترك صلاة الليل فأنها شرف المؤمن وفيه من الأسرار ما لا تسعها هذه الجلسة، وقد سمعنا من غير واحد من العارفين قولهم انه محال ان يصل أحد إلى المقام المنشود وهو لا يصلي صلاة الليل.

١٢ - **(الحق الشرعي)**: ان اداء الحقوق الشرعية لها مدخلية كبيرة في نيل الكمالات المعنوية، والعنايات الخاصة، فعلى المريد ان يدفع الخمس والزكاة وان يتصدق يوميا فأن في ذلك آثار عظيمة، وعطايا خفية.

١٣ - **(منزل الذكر)**: اعلم ياحسن: ان من صفات المريد الحقيقي مداومته على ذكر الله تعالى، واللهج بالذكر يورث نورانية عجيبة في القلب، وسعة وجودية عظيمة، وقابلية كبيرة في عوالم السلوك وافضل الذكر على الاطلاق (الصلاة على محمد وآل محمد) فاقرأ هذا الذكر الف مرة في اليوم على أقل التقادير وان استطعت أكثر فافعل، كما عليك بكثرة الاستغفار والتهليل والتسبيحة الكبرى وغيرها.

١٤ - **(منزل خدمة العيال)**: لقد طرق اسماعك، أو قرأت ماورد عن ائمتنا المعصومين عليهم السلام في مشاركة اهلهم ومساعدة

عيالهم في شؤون البيت، وعلى هذا سارت سيرة الصالحين، فتمسك بذلك واخدم اهلك في البيت ولا تتعنت فقد قيل: (دلل تدلل) أي دلل عيالك يدللك الله تعالى بلطفه وعطائه.

١٥ - **(منزل الخلوة)**: فمن الافضل للمريد ان تكون له خلوة مع الله تعالى يناجيه، ويدعوه، ويتضرع اليه، يصطحب فيها القرآن الكريم وكتب الادعية يقرأ فيها اذكاره الخاصة وكل ما يعينه على القرب.

١٦ - **(منزل التفقه)**: اذ على المريد ان يكون متفقها في دينه، مطلعا على مسائل الحلال والحرام، عارفا بالشريعة والاحكام، فأن الفقه عماد الدين كما ورد الائمة المعصومين عليهم السلام.

١٧ - **(منزل الإنتظار)**: يجب على المريد ان تكون له علاقة وطيدة بإمام زمانه (عجل الله تعالى فرجه الشريف) فينتظره بشوق، ويمهد لظهوره بكل وجوده، ويذكره آناء الليل واطراف النهار، ويتصدق نيابة عنه، وغير ذلك من صور الانتظار والعلاقة.

١٨ - **(منزل مطالعة السيرة)**: على المريد ان سير الأنبياء، وأحوالهم، وقصصهم، وحكمهم، ويتعمق جدا في مطالعة سيرة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسيرة الائمة المعصومين عليهم السلام واصحاب النبي المنتجبين وتلامذة الائمة الصالحين ثم يطالع سيرة العلماء الربانيين، والأولياء الصالحين، والعرفاء

الكاملين، كي ينتهج نهجهم، ويعرف طريقتهم في السير والسلوك والعرفان.

١٩ ـ **(منزل الموت)**: فعلى المريد ان لا ينسى الموت وان يجعله واعظا له دائما، ويستعد له دوما، كما ان عليه ان يزور المقبرة، ولو في الشهر مرة.

٢٠ ـ **(منزل الخُلُق الحسن)**: فعلى المريد ان يتسع صدره للجميع، وان يتحمل الخلق، وان يكون دائم البشر، طيب المعشر، لين العريكة، لطيف الجناب فأن في ذلك الخير كله.

٢١ ـ **(منزل الصمت)**: فينبغي على المريد ان يكون صمته أكثر من نطقه، فأن من كثر صمته اودع الحكمة،

هذه اهم منازل الكمالات فاعمل على تطبيقها ما استطعت ولا تتركها وهذا برنامجك العام واما الخاص فقد كتبته لك بورقة ساعطيك اياها وتعال الي غدا بنفس الوقت لأحدثك عن موضوع الآداب والسنن المتعلقة بمنازل الكمالات.

■ ■ ■

حُجُراتُ الآدابِ والسُنَنِ

جلست بين يدي أستاذي وشيخي اليقظان وقد آسرتني هيبته، وظهر عليه الجلال بأبهى صوره، واجمل معانيه، وقد كان يتمتم بذكر الله تعالى، حتى إذا طاب لنا المقام قال:

(كان الكلام في ليلة البارحة حول اهم المنازل الكمالية التي ينبغي للمريد ان يقوم بها بعد ان ينتصر على نفسه و، ويقمع الملكات السيئة، ويهدم معبد الاوثان في نفسه...

ثم ان منازل الكمالات هذه فيها حجرات نورانية مهمة ينبغي على المريد والسالك ان يسكن فيها وهي (حجرات الآداب والسنن) والاداب هي مجموعة أخلاقيات يؤديها المؤمن اثناء اعماله وافعاله وهي كثيرة اهمها:

١ ـ آداب اللباس: اذ يستحب التجمل من الحلال، والتزيّن للمسلم والاصحاب والاهل، ولبس النقي النظيف، ولبس الابيض من بين الالوان، ويكره لبس الثوب الرقيق، والاحمر المشبع الا للعرس، والاسود الا حزنا على مولانا سيد الشهداء ومصائب العترة الطاهرة عليهم السلام، ويستحب الابتداء عند اللبس

باليمين، وإذا لبست ثوبا جديدا فقل: (**اللهم اجعله ثوب يُمن، ونقى، وبركة، اللهم ارزقني فيه حسن عبادتك، وعملا بطاعتك، واداء شكر نعمتك، الحمد لله الذي كساني ما اواري به عورتي، واتجمَّل به في الناس**) ويستحب عند لبس السروال الدعاء: (بسم الله، اللهم استر عورتي، ولا تهتكني في عرصات القيامة، واعف عني فرجي، ولا تخلع عني زينة الإيمان)، ويستحب لبس الخاتم في اليمين وحدها أو فيها وفي اليسار جميعا، والتختم في اليمين من علامات المؤمن، والافضل لبس الخاتم بالخنصر، ويُكره الاقتصار على التختم في اليسار، **ويستحب التختم بالعقيق والياقوت والزمرد والفيروزج والزبرجد وحصى الغري، ونقشه باسماء أهل الكساء** عليهم السلام.

٢ ـ آداب المسكن: يستحب اختيار السكن الواسع، ويستحب كنس البيت والافنية، وتنظيفها من بيوت العنكبوت، والتسمية عند دخول الحجرات، ويستحب مؤكدا حسن الجوار، ويستحب تعيين حجرة في الدار للصلاة وقراءة القرآن الكريم والعبادة خالية من اثاث البيت .**٣ ـ آداب الأكل والشرب**: يستحب أكل شيء ولو بسيط قبل الخروج من المنزل، ويستحب العشاء ولو بلقمة، ولو بشربة من ماء، ويستحب البكور في الغداء، وغسل اليدين قبل الطعام وبعده، والدعاء إذا وضعت المائدة بين يديه بهذا الدعاء: (**اللهم هذا منك، ومن فضلك، وعطائك، فبارك لنا فيه، وسوغناه،**

وارزقنا خلفا إذا اكلناه فرب محتاج اليه، رزقت فأحسنت، اللهم اجعلنا من الشاكرين) ويستحب ان يجلس جلسة العبد، والتسمية ويستحب ان يسمي عند كل لون على انفراده، وعلى كل لقمة، ويستحب اعادة إعادة التسمية عند قطعها بالكلام، ولو نسي التسمية وتذكرها يقول: بسم الله على اوله وآخره، ويستحب التحميد بعد التسمية، والابتداء بالملح والاختتام به، والاكل باليمين دون الشمال، وتصغير اللقمة، وإجادة المضغ، وطول الجلوس على المائدة، والاكل بثلاثة اصابع وأكثر، والتحميد عند الشبع هذا بخصوص الاكل. اما بخصوص الشراب فيستحب شرب الماء بعد الطعام، والتسمية، والشرب قياما في النهار وجلوسا في الليل، وذكر مولانا العطشان الحسين الشهيد عليه السلام والدعاء: **(الحمد لله الذي سقانا عذبا زلالا، ولم يسقنا ملحا اجاجا، ولم يؤاخذنا بذنوبنا)**

٤ ـ آداب النوم: يستحب النوم بالليل، ويكره السهر الا لطلب العلوم الدينية، أو التهجد **والعبادة، وتستحب القيلولة،** كما يستحب ذكر الله تعالى عند النوم، ومن اهم الاذكار تسبيح الزهراء عليها السلام وقراءة سورة الفاتحة ثلاث مرات، وقراءة سورة التوحيد ثلاث مرات أيضًا، والمعوذتين، والقدر، والجحد، والتكاثر، والملك، ويس، والواقعة، وآية الكرسي، وآية السخرة، وآخر آية من سورة الكهف، وآخر آية من سورة التوبة، والاستغفار، والتهليل، **وذكر الله حسن على كل حال.**

٥ ـ آداب النظافة: وهي كثيرة منها: تنظيف الجسد والثياب، والاستحمام، تقليم الاظافر، اخذ الشعر من الانف، قص الشارب، ويكره إطالته، واستعمال السواك، وتخليل الاسنان، تخفيف اللحية وتدويرها، نعم يستحب الاخذ من طولها بقص ما زاد عن القبضة، ويحرم حلق اللحية كما هو المشهور، والتمشط ويتأكد استحباب التمشط بعد فرض الصلاة ونافلتها، ويستحب ان يكون من جلوس، والإكتحال، والنظر في المرآة، والخضاب، والتطيُّب فأنه من سنن الأنبياء وأخلاقهم، وانه يشد القلب، ويسمن البدن، ويزيل الغم، ويكره للمرأة ان تخرج وهي متطيبة، والتدهن فأنه يذهب بالسوء والبؤس، ويتأكد استحبابه في الليل. **٦ ـ آداب البيع والشراء**: يستحب الإكتساب، وطلب الرزق، بل يُكره ترك طلبه، وإن اشتغل بالعبادة، اذ ان هناك مكاسب مستحبة منها: المضاربة، والعمل باليد، والغرس والزرع، وشراء العقار، وللبيع والشراء آداب كثيرة منها: التفقه، وابتداء صاحب السلعة بالسوم، والدعاء، وان يقبض لنفسه ناقصا ويعطي راجحا، وان يبيع عند حصول الربح، والاحسان في البيع والسماح، وان يكون سهل البيع والشراء والقضاء والاقتضاء، واختيار شراء الجيد وبيعه. **٧ ـ آداب العِشرة**: حيث ان لمعاشرة الناس آداب كثير ينبغي على المؤمن ان يلتزم بها واهمها: لين الكلام، وحسن السيرة، وحسن المعاشرة، والصحبة، والمجالسة، والمجاورة، وحسن

الخلق، والألفة بالناس، وان يكون هيِّنا ليِّنا، وصدق الحديث، وصدق الوعد، والحياء، والعفو، وكظم الغيظ، والصبر على الحسَّاد ونحوهم من اعداء النعم، والصمت، والسكوت الا عن الخير، والمداراة، وقبول العذر لمن يعتذر بعد الاساءة، واداء حق المؤمن، والالتزام باداب المجالسة والكلام، والتراحم، والتزاور، والتهادي.

هذه اهم الآداب التي ينبغي على المؤمن الالتزام بها، واعلم ان هناك ادابا اثناء العبادات كآداب الطهارة، والوضوء، والصلاة، والصيام، والحج وغيرها وللاستزادة في الاداب والسنن عليك بقراءة مرآة الكمال للعلامة المامقاني (قدس سره) ففيه منتهى الكفاية في ذلك.

■■■

مستنقعات المكروهات

قال الشيخ اليقظان:

وكما ينبغي على العبد ان يؤدي المستحبات ما استطاع، فعليه ان يترك المكروهات كذلك، والمكروه ترك ما مصلحته راجحة، وان لم يكن منهيا عنه، وقد يراد به ما نُهي عنه نَهي تنزيه لا تحريم، وفي ترك المكروهات توفيقات عجيبة، وفي عملها آثار سلبية كثيرة، ولذا فعليك يا ولدي ترك المكروهات وهي كثيرة اهمها، فيُكره:

١. التطهير وضوءً وغسلاً في الماء الذي اسخنته الشمس.

٢. ترك غسل يوم الجمعة.

٣. التيمم بتراب يوطأ، وتراب الطريق.

٤. الاستشفاء بالمياه الحارة، التي يُشم منها رائحة الكبريت.

٥. الاستنجاء باليد اليمنى، والاستنجاء بيد فيها خاتم عليه اسم الله.

٦. قضاء الحاجة على شطوط الانهار، والآبار، والطرق

النافذة، وتحت الاشجار المثمرة، وعلى ابواب الدور، وافنية المساجد، والتغوط وبين القبور.

٧. طول الجلوس في بيت الخلاء.

٨. تخفيف الصلاة، والسرعة بها.

٩. الصلاة في الطرقات، ولا بأس بها على جوانبها.

١٠. الصلاة بين القبور، الا مع تباعد عشرة اذرع من كل جانب.

١١. الصلاة إلى مصحف مفتوح، أو كتاب مفتوح.

١٢. الصلاة على الثلج، الا لضرورة.

١٣. استقبال المصلي للنار، واستقبال التماثيل والصور، الا ان تُغطى.

١٤. الصلاة في بيت فيه كلب، أو تمثال، وفي الحمام.

١٥. ذكر عبادة الإنسان للناس.

١٦. الزيادة في رفع اليدين بالتكبير حتى تتجاوز الاذنين.

١٧. قراءة سورة الاخلاص في نفس واحد.

١٨. مسح الوجه والرأس باليدين في الفرائض، واستحبابه في نوافل الليل والنهار.

١٩. نفخ موضع السجود وغيره في الصلاة.

٢٠. الكلام بين المغرب ونافلتها وفي اثناء النافلة.

٢١. النوم بين صلاة الليل والفجر، والنوم بين الطلوعين.

٢٢. تأخر جيران المسجد عن الصلاة في المسجد وصلاتهم في غيره.

٢٣. انشاد الشعر في المسجد، والتحدث بامور الدنيا، والنوم في المساجد، وزخرفتها، ونقشها بالصور، والخروج من المساجد بعد سماع الاذان، الا بنية العود.

٢٤. ترك صلاة الليل، وترك حضور الجماعة، وامامة الجالس للقائمين.

٢٥. السعوط للصائم، والحجامة ان خاف الضعف، وكذا اخراج كل دم مضعف كنزع الضرس وغيره، وابتلاع الريق بعد المضمضة حتى يبصق ثلاث مرات، وشم الصائم للريحان والمسك والطيب، والجدال والرفث والحلف والمراء، وقول رمضان من غير اضافة شهر، وصوم ثلاثة ايام بعد عيد الفطر، وصيا الضيف ندبا بدون اذن مضيفه.

٢٦. ترك التجارة، وزيادة الاهتمام بالرزق، وكثرة النوم، والكسل في امور الدين والدنيا، والضجر والمنى، وطلب الحوائج من مستحدث النعمة، واخذ الاجرة على تعليم القرآن الكريم مع الشرط دون تعليم غيره، واكل ما تحمله النملة، والحلف على البيع والشراء صادقا، وتحريمه كاذبا، والشكوى من عدم الربح، والدَين مع الغنى عنه، والتقاط اللقطة، واليمين الصادقة.

وإظهار الاحتياج والافتقار.

٢٧. رد السائل الذكر ليلا، وإظهار الاحتياج والافتقار.

٢٨. الاكل والشرب والنوم للمجنب حتى يغتسل أو يتوضأ أو يتيمم.

٢٩. ترك الوصية بأن لا يوصي الإنسان قبل موته، وتمني الموت، والضحك بين القبور وعلى الجنازة، وكتم موت الإنسان عن اهله وزوجته، والنوح ليلا، وضرب المصاب يده على فخذه، والصياح على الميت، وشق الثوب

٣٠. التأخر عن الحج المندوب، الاحرام في الثوب الاسود، والثوب الوسخ، والوحدة في السفر، وحمل الزاد الطيب في طريق زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وترك زيارة الحسين عليه السلام، وسرعة المشي، وضرب الدابة على وجهها.

٣١. العزوبة، وترك الزواج، والافراط في حب النساء، وتزويج شارب الخمر، وسيء الخلق، والمخنث، والصغار، وتكثير المهر، والجماع في الحمام، والنظر إلى عورة الزوجة، والكلام عند الجماع بغير ذكر الله تعالى، والجماع بين الطلوعين، وفي اول الشهر الا في شهر رمضان، والجماع وفي المكان صبي يسمع الصوت، واستقبال القبلة واستدبارها فيه، والجماع من الدبر كراهة شديدة، ومحادثة النساء لغير حاجة،

والجلوس في مكان المرأة حتى يبرد، وحديث النفس بالزنا، وطلاق المريض لزوجته.

٣٢. صيد الطير ليلا، والسمك يوم الجمعة قبل الصلاة، وقتل الهدهد والصرد والصوام والنحل والنمل والضفدع، والقنبرة، أو اعطائها للصبيان يلعبون بها.

٣٣. الانقباض من الناس، ومؤاخاة الفاجر والاحمق والكذاب، ومجالسة الانذال والاغنياء، ودخول موضع التهمة، واستشارة الجبان والبخيل والحريص، وترك السلام، وسلام الرجل على المرأة الشابة، واعتراض المسلم في حديثه، والقهقهة، والضحك من غير عجب، واستقبال الشمس، وكثرة المزاح والضحك، وكثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى، وكثرة المراء والخصومة، والحرص على الدنيا، والافتخار، والتعرض للذل، والبخل على المؤمن، ونية الشر.

٣٤. ترك الدعاء اتكالا على القضاء، والعجلة في الدعاء، واستعجال الاجابة.

٣٥. اكل لحوم الحمر الاهلية، ولحوم الخيل والبغال، وكثرة الاكل، والاكل على الشبع، والتخمة، والاكل متكئا، ومنبطحا، ووضع إحدى الرجلين على الاخرى والتربع وقت الاكل، والاكل ماشيا الا مع الضرورة، واستخدام الضيف وتمكينه من ان يخدم، وترك العشاء،

ورمي الفاكهة قبل اتمام اكلها، ووضع منديل على الثوب وقت الاكل، ووضع الخبز تحت القصعة، وشمه، والاكل في السوق، وترك اكل اللحم اربعين يوما، واكل الطعام الحار جدا، والنفخ في الطعام، ونهك العظم، والشرب بنفس واحد.

٣٦. لبس السواد الا على الإمام الحسين عليه السلام، والاحمر المشبع، والمزعفر، والمعصفر الا للعرس والجلوس مع الاهل، ولبس الصوف والشعر الا من علة، والمشي في حذاء أو خف واحد، ولبس النعل من قيام، ومجاورة جار السوء، ومبيت القمامة في البيت، وحوك العنكبوت في البيوت، ودخول بيت مظلم بغير مصباح، والنوم في بيت ليس له باب ولا ستر، وخلوة الإنسان في بيت وحده.

هذه أهم المكروهات فاتركها ما استطعت[١].

■ ■ ■

---

(١) للاستزادة: يُنظر: رسالة المكروهات في العبادات والمعاملات من وسائل الشيعة، الشيخ علي محسن شقير العاملي.

عقد القران

اليوم هو عقد قراني على زينب، فقد اعطيت الموافقة من قبل اهلها بعد زيارة والدتي، تجمعنا في دار والدي بحضور اثنين من اعمامي، وعدد من اولاد عمي، واقاربي، وقد جاء الشيخ يقظان، والحاج النداف مع عدد من طلابهم، كما جاء عمار وعدد من الأصدقاء، وقد انطلقت بنا السيارات من الكرادة نحو مدينة الصدر...

لقد استقبلنا ابو زينب مع اعمامه واقاربه وكان اجتماعا كبيرا ولما طاب بنا المقام رفع الشيخ اليقظان عقيرته قائلا:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ لقد شرف الله تعالى خلقه بالعبودية، وكرمهم بالإسلام، ورفع خاصة خلقه للولاية، ثم ندبهم للطاعة، وحثهم على العبادة، ثم استعرض لهم آياته، وكشف لهم عن براهينه، ومنها الزواج، فهو مظهر من مظاهر رحمة الله تعالى، وعطاء للخلق، وفضل ومنَّة، ولذا قال نبينا الاعظم ﷺ: (الزواج سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني)

ومن هذا المنطلق جئنا نطلب يد ابنتنا لولدنا البار وتلميذنا الصادق (حسن) ولقد رافقني ولازال في طريق الله تعالى فما رأيت منه الا الصلاح والرشاد...

ـ قال الشيخ ذلك وقد اشعرني بالخجل والحياء فما انا وما قيمتي ولولا ان تداركتني رحمة الله تعالى به لما زلت اتسكع في ذلك الزقاق المظلم.

اكمل الشيخ حديثه قائلا: يا ابا زينب أيها العزيز فنود ان نسمع منك ونحن بخدمتك.

قال ابو زينب: اهلا وسهلا ومرحبا، ولي الشرف بقدومكم وطلبكم.

قال الشيخ: نتحدث عن المهر (حاضره وغائبه).

فقال ابو زينب: الحاضر زيارة مولاي الحسين عليه السلام والغائب حج بيت الله الحرام!

اصاب بعض الحاضرين الذهول، اذ كيف يتعامل هؤلاء بهذه الروحانية والزهد، ولقد لاحظت بعض وجوه اقاربي واولاد عمي - حيث تُعرف عوائلنا بالثراء وطلب المال - الاستغراب وهنا نادى أحد الشباب: افلح من صلى على محمد وآل محمد

- اللهم صل على محمد وآل محمد

فقال الشيخ يقظان لوالد زينب: جزاك الله خيرا، ونحن موافقون

ثم قال: لوجه الله تعالى وشرف النبي الاعظم والائمة المعصومين ومولانا ابي الفضل العباس وامه الطاهرة واخوانه الشهداء رحم الله من يقرأ الفاتحة مع الصلوات ثم قام واجرى العقد الشرعي لنا...

■ ■ ■

الرفيق في الطريق

دعاني الحاج سعد النداف لحضور جلسة الليلة، وطلب مني ان اخبر صديقي عمار للحضور أيضًا، وقد كنت مشتاقا جدا لحضور تلك الجلسات الملكوتية التي تفوح بين جنباتها عبائر المعارف والأخلاق والآداب...

فقصدنا بيت الحاج وكان عمار متلهفا جدا لذلك وما ان وصلنا لباب داره حتى استقبلنا بحفاوته البالغة، وابتسامته الإيمانية وقد وجدنا عددا من الشباب وهم يتناقشون بمسألة فقهية ويستعرضون أراء الفقهاء (حفظ الله الباقين ورحم الماضين) وبدأت الضيوف تأتي حتى صار عددنا قرابة العشرين شخصا بين شاب وكهل وشيخ على مختلف الاختصاصات ففينا رجل الدين والطبيب والمهندس والكاسب والبقال ورجل الاعمال وطالب الجامعة

فقال الحاج سعد النداف: (أود ان يكون نقاشنا هذه الليلة حول ركن ركين وعنصر اساسي في الطريق إلى الله تعالى وهو الرفيق أو الصاحب أو الاخوان في الله... فما هي اهمية ذلك

في الطريق؟! وما هي آثار الرفيق على صاحبه في مسيرة تزكية النفس والسلوك؟!

- تفضلوا ادلوا بدلائكم ان سمحتم... [كل واحد يتحدث بما يعرف ولنبدي من جهة اليمين]

- هناك ترغيب شديد، وثواب عظيم على المؤاخاة بالله تعالى - خلي نستعرض بالبداية الروايات اللي تتحدث عن فائدة الصاحب المؤمن - مثلا قال الرسول العظيم ﷺ: (ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد فائدة الإسلام مثل أخ يستفيده في الله) إذا واحد من الاخوة يتذكر حديث يتفضل

- قال النبي الكريم ﷺ: (إن المؤمن ليسكن إلى المؤمن، كما يسكن الظمآن إلى الماء البارد)

حلو هذا المعنى يعني من يعطش المؤمن وتجف روحه لسبب وآخر يروح لصاحبه يكله تعال سولفلي على الله والطافه على أهل البيت وكمالاتهم.

- قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: لكل شيء شيءٌ يستريح اليه، وان المؤمن يستريح إلى اخيه المؤمن، كما يستريح الطير إلى شكله، أو ما رأيت ذلك).

تداخل الحاج النداف: احسنت شيخ لطيف، شوف مولاي الربط وجماله مرة يربط الصاحب بالعطش فيروح الصديق لصديقه ويكله عطشان اروني، سولفلي، حدثني، اقرالي آية أو رواية، ومرة يوصفه بالطير اللي يحلق باعالي الجو والفضاء

فيحتاجله طير يشبهه يساعده على معرفة الطريق ويستريح معه عند التعب فيهبطون بالوديان سوه ويشربون من ماي واحد...

- تداخل أحد كبار السن فقال: المؤمن يشفع لأخيه المؤمن اللي كان يحبه بالدنيا، قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: (ان المؤمنين المتواخين في الله ليكون احدهما في الجنة فوق الآخر بدرجة، فيقول: يا رب ان صاحبي قد كان يأمرني بطاعتك، ويثبطني عن معصيتك، ويرغبني فيما عندك، فاجمع بيني وبينه في هذه الدرجة، فيجمع الله بينهما)

- ثم اردف هذا الحاج بضحكة جميلة: هذا خوش حجي اني اكلهم حجي سعد وشيخ يقظان ربيعتي جا اطيتهم فوك وانه جوه شنو يا لملائكة اني ما اكدر اضل وحدي كللولهم ياخذوني وياهم لا ازعل...

- وضحك الجميع، وقال الحاج النداف: عمي أنت وياي بس خاف يودوني للنار...

صاح الحجي: عمي احنه ملتمين على حب الله يسترنه الله من النار...

تداخل أحد الشباب وقال: حاج إذا تسمح استخرجت هذه الرواية من كتاب في نقالي

- تفضل حبيبي

- استخرج الشباب هاتفه وقال: قال الإمام الصادق عليه السلام: (ان المتحابين في الله يوم القيامة على منابر من نور، قد أضاء

نور أجسادهم ونور منابرهم كل شيء حتى يُرفوا به، فيقال: هؤلاء المتحابون في الله)

فقال بعض الجالسين: ما شاء الله، ما شاء الله

ـ قال أحد الاخوة: الظاهر ان اساس هذه العلاقة هو الحب في الله، فتترتب كل هذه الآثار فيما لو كانت العلاقة قائمة قربة لله تعالى بعيدا عن المصالح الشخصية والمنافع الذاتية...

ـ قال أحد الشباب ـ متداخلا ـ والشيء الذي يميز كل ذلك مع نية القربة التي تفضل بها الدكتور هو الصفاء فيجب ان تكون العلاقة بينهما بعيدة عن المشاحنات والمخالفات والتعقيد الذي قد نلاحظه في بعض صداقات أهل الدنيا...

ـ قال أحد الشيبة وكانت عليه سيماء الصلاح: اني سامع من العارف المرحوم آية الله سيد محمد الحسين الطهراني تلميذ السيد هاشم الحداد كلمة هواي عظيمة يكول مضمونها: (اللي يحبنه يحب جماعتنه ورفقاء دربنه لأن احنه مثل خرز السبحة فاذا حب واحد من عدنا لازم يحبنه كلنا، فما نقبل بواحد يحبنا وما يريد رفقائنا ـ اننا مشتركون جميعا في محبة الرب وطلب لقائه ويذكر هاي الآية (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

ـ تأثر الاخوة بهذا التوصيف وترحم الحاج النداف على المرحوم الطهراني وقال: (رحم الله السيد الطهراني كان عارفا،

شجاعا، مدافعا عن أستاذه سيد هاشم الحداد بكل قوته، وكان الكثير من المشككين يهابونه، ولا يجرءون على نقد أستاذه امامه...)

ـ ساد صمتٌ جميلٌ في الجلسة وكأن الارواح قد ظللتها غمامة الخشوع والخضوع والأنس ولكن هذا الصمت لم يدم طويلا اذ سرعان ما شق حجابه صوت شاب يافع بقوله: (الظاهر ان العبارة الواردة في الدعاء (ان من اجتمع بك لمستنير) لها علاقة بآثار الرفقة في الله، فمعناها ان الصداقة والاجتماع إذا كان لله تعالى فأن العبد يحصل على نورانية خاصة (مستنير)...)

قال أحد الشيبة: الصاحب للصاحب كاليد لليد، يغسل بعضه بعضا، فاليد الواحدة لا تغسل نفسها ولا تطهرها، وكذلك الصديق يساعد في إعانة صاحبه على نفسه ومجاهدتها وتزكيتها ولذلك ورد في الرواية (المؤمن مرآة المؤمن) فأن الرفيق يكون مظهرا لأسم (الكاشف) و(البصير) بهذا المقام فيكشف خبايا روح رفيقه له، ويبصره أحواله فيكون ذلك عونا له في الطريق.

قال الحاج النداف: كما ان على المريد ان يساعد رفيقه، ويقضي حوائجه، ويكون له عونا على امور الدين والدنيا ولذا ورد عن مولى المتقين وامام العارفين علي بن ابي طالب عليه السلام وهو يوصي ذلك الحكيم اليوناني الذي أسلم: (وآمرك أن

تواسي إخوانك المطابقين لك على تصديق محمد ﷺ، وتصديقي والإنقياد له ولي، مما رزقك الله وفضَّلك على من فضَّلك به منهم، وتجبر كسرهم وخلتهم، ومن كان منهم في درجتك في الإيمان ساويته في مالك بنفسك، ومن كان منهم فاضلا عليك في دينك آثرته بمالك على نفسك، حتى يعلم الله منك ان دينه آثر عندك من مالك، وان اولياءه اكرم عليك من اهلك وعيالك)

ولذا كان السلف الصالح من العلماء والعارفين والسالكين يجتهدون في قضاء حوائج اخوانهم كي يزيلوا غبار الهم عن قلوبهم فيزيل الله تعالى بذلك غبار الحجب عن بصائرهم.

- استمر المجلس إلى قرابة الساعتين وكانت كل المطالب تتمحور حول موضوع الرفيق والصاحب في طريق الله تعالى حتى اشبعوا الموضوع بمداخلاتهم القيمة وبعدها اختتم المجلس بذكر مولانا سيد الشهداء عليه السلام ثم دعاء ومناجاة يصحبهما بكاء ونحيب، ثم انفض المجلس ورجعنا انا وعمار وكانت دموعه تتقاطر من عينيه طول الطريق وهو يردد (وين كنت طول هذا العمر، ليش ضيعت هواي من عمري بالخطأ، ليش ما تعرفت على ذوله الناس من البداية...) وانا اهون عليه واصبره واسليه واقول له: بعدك شباب، بعدك شباب!

وبينما نحن هكذا وإذا بالحاج سعد النداف يتصل بي

- سلام عليكم بويه

ـ عليكم السلام حجي

ـ إذا عمار وياك انطينياه!!

ـ صار حجي

اخذ عمار التلفون وهو في غاية الدهشة

ـ الو حجي، صار حجي، صار حجي، تمام تمام، في أمان الله.

ارجع التلفون وهو مستغرب

ـ خير شكو

ـ الحجي يكلي باجر تعال علي أنت وحسن عندي موضوع وياك...

ـ خير ان شاء الله

ـ تمام باجر امرلك ونروح يمه للمحل...

■ ■ ■

البرنامج الأول

ذهبنا للحاج النداف في محله وقد استقبلنا بحفاوة بالغة وقال لعمار:

لمست البارحة منك صدق النية، وقوة الهمة واود ان اعطيك بعض الارشادات فحاول ان تعمل عليها لمدة عشرة ايام ثم تأتيني

قال عمار: بخدمتك حجي، أنت متفضل علي، والا اني كلي اخطاء وذنوب...

قال الحاج: بويه الفضل لله تعالى، أريد منك ترجع لله كرجوع الغريب إلى اهله، ولذلك هاي امور حاول تطبقها قدر امكانك وحسن ان شاء الله تعالى يساعدك، والأمور هي:

١ ـ مطالعة الرسالة العملية لمرجع التقليد، واقصد كتاب الفقه اللي بيه بيان الحلال والحرام والواجبات والمحرمات والمسائل الشرعية للمرجع اللي تقلده، فكما تعلم ان التقليد واجب على كل مكلف لم يبلغ رتبتي الاجتهاد أو الاحتياط، فيجب عليك ان تقلد المرجع الجامع للشرائط كي تكون اعمالك مبرءة للذمة، فالتقليد

في مدرسة أهل البيت ﷺ واجب يا عمار، ومن الضروري جدا ان تعرف احكام الدين ومعالم الشريعة وخصوصا المسائل الابتلائية فأن تعلمها واجب.

٢ ـ عليك ان تؤدي صلاتك بوقتها، واياك ان تتهاون بذلك، فإن المتهاون بصلاته والمستخف بها لا ينال شفاعة الائمة الطاهرين ﷺ يوم القيامة، كما ان الذي يواظب على أداء الصلاة بوقتها سينال مقاما عاليا من التوفيقات والكمالات، وحاول ان تصليها بحضور قلب وتأتي بالتعقيبات بعدها.

٣ ـ إقرأ شيئا من القرآن الكريم يوميا، على ان لا تقل قراءتك عن خمسين آية كي تُعد من الذاكرين في الملكوت.

٤ ـ أكثر من الصلاة على محمد وآل محمد، فانها أساس الكمالات، وام التوفيقات، كما انها تهدم الذنوب هدما، وحاول ان تصل الف مرة باليوم.

٥ ـ اذكر الحسين الغريب ومصيبته فأن ذكره يبلغ بالعبد أرفع الدرجات المعنوية، ويصل العبد بهذا الذكر إلى توفيقات خاصة، وعنايات مخصوصة، كأن تقرأ زيارة وارث، أو زيارة عاشوراء، واستمع إلى رثائه وذكر ما جرى عليه وعلى عياله يوم عاشوراء، واعلم ان البكاء أو التباكي على ذلك نافع لكل مؤمن ومؤمنة.

٦ ـ إقرأ إحدى المناجاة الخمسة عشر الواردة عن مولانا زين العابدين عليه السلام، واجتهد ان تقرأها بحضور قلب، فإن أولياء

الله كانوا يوصون بها، وهي سر من أسرار آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين).

٧ ـ جاهد نفسك على ترك الذنب، وابتعد عن المعصية، وراقب أحوالها وافعالها واقوالها، فأن النفس أول ميدان يدخله المؤمن.

٨ ـ أكثر من قراءة دعاء الفرج، وتصدق نيابة عن إمام الزمان (ارواحنا فداه).

التزم بهذه التعليمات لعشرة ايام ثم عد لي وسأعطيك اضافة عليها وهكذا إلى أن نلتقي بالشيخ يقظان فيأخذ بيدك ان شاء الله تعالى، وارجو من حسن ان يساعدك على ذلك.

ـ كانت هذه بداية صديقي عمار في طريق الله تعالى، وقد نظرت إليه وقد انشرحت اساريره وتفتحت وجنتاه، استأذنا الحاج النداف ورجعنا إلى البيت وهو يعيش سعادة غامرة، وبهجة كبيرة، ويكثر من شكر الله تعالى

* وحين ترجع الروح إلى مالكها، تحلق عاليا في سماء الانس، وكأنها تائه قد عرف الطريق، أو طير قد وجد عشه، وهكذا نبقى في حزن واكتئاب وضيق حتى نرجع إلى الله تعالى، فتتفتح زهرة الروح، ويبتسم القلب قائلا: واخيرا جاءت السعادة!

وبينما هو يسألني وانا اجيبه جاءتني رسالة من زينب

- بابا يكول عشاك يمنه!

أركان السعادة الزوجية

حضرت قُبيل صلاة المغرب إلى بيت العم أبي زينب وكان هو واولاده الكرام قد استقبلوني بحفاوة واحترام بالغين، وبعد دقائق ارتفع الاذان فقمنا للصلاة وقد اديت الصلاة مأموما خلف العم، وقد علمت انهم يقيمون جماعة جميعهم خلف والدهم، وقد شعرت بالروحانية العجيبة عندهم، فلقد اختاروا غرفة للصلاة وكتبوا على بابها (بيت النور) يقيمون بها صلاتهم وعباداتهم...

بعد ذلك تناولنا العشاء سوية، ثم جلس معي ابو زينب وزوجتى المصون فقال ابوها: لقد طلبت منك المجيء إلى بيتنا لاقول شيئا لك ولزينب قبل ان تتزوجوا فعليا لعلي انفعكما به، واكون قد أبرأت ذمتي تجاهكما، فلي بهذا المقام نصيحتان شموليتان أحدهما لزينب كـ زوجة والثانية لك كـ زوج.

نصائح للزوجة

عليكِ بُنيتي: أن تعرفي حقيقة الزواج، وروح السعادة المتشربة في هذا الأمر العظيم، وان تتعاملي مع زوجك

بالمحبة، وأن تؤمني ان الزواج مشروع إلهي قائم على صناعة ارواح ربانية، وان تعرفي دورك جيدا في هذا المشروع، وان لا تتكاسلي فيه، وان تكوني انثى بما تحمل كلمة الانوثة من معنى مع زوجك الذي احله الله تعالى لك، وان تحافظي على عنوان الزوجية، ولا تتجاوزيه، وان تتحملي في سبيل ذلك التعب والجهد فانه محسوب عند الله تعالى جهاد عظيم، وان تبني مع زوجك هذا المشروع الإلهي بلا تدخل من أحد خارج بيتك لا انا ولا امك ولا غيرنا، وان تصوني بيتك وتحافظين على اسم زوجك، وان تؤثرين على نفسك في سبيل الحفاظ على هذا الصرح الإلهي، وان تقتدي بالزوجات الصالحات فهن قدوات قد وضعهن الله تعالى للتأسي أمثال السيدة خديجة، والصديقة الكبرى فاطمة الزهراء، وعقيلة الطالبيين زينب (عليهن السلام)، وان تجتهدي ما استطعتي ان تجعلي بيتك مستقرا آمنا لزوجك، وعليك بموافقته، وطاعته، والانسجام معه، وافهمي شخصية زوجك بدقة، كي تتعاملي معه على ضوء ما عرفتي، بدءا من تعابير الوجه إلى التفاصيل الاكبر، وإياك ان تعجزيه بالطلبات، وتثقلي عليه بالاوامر، وخففي الضغط عليه، ولا تدققي في التفاصيل فانها تجلب المشاكل والملل، وقللي المؤونة، واتركي التعيير مطلقا، ولا تمني عليه، وتذكري قول مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: (لا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها عن ثلاث خصال وهن: صيانة

نفسها عن كل دنس، حتى يطمئن قلبه إلى الثقة بها في حال المحبوب والمكروه، وحياطته ليكون ذلك عاطفا عليها عند زلة تكون منها، وإظهار العشق له بالخلابة، والهيئة الحسنة لها في عينه)، وإعطائه حقه الشرعي، وعليك بحسن الاستقبال والتوديع، وعدم الخروج من المنزل الا بإذنه ورضاه، واصبري على اذاه، وتحمليه، وعليك باطعامه الطعام الطيب، وحافظي على عرضه، واهله، ووالديه، واخوته، واخواته، وماله، وتزيني له، وتطيبي، وارفعي المنفرات، واياك ان تستغلي ضعفه، ولينه، وعطفه، واعتني بمنزلك، وتدبيره، وادارته، واطلبي العلم الذي يقربك من الله ومن رضا زوجك، وانصحك بقراءة سورة النور دوما، وعليك بصفات المرأة التي ذكرها مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: (خيار خصال النساء، شرار خصال الرجال: الزهو، والجبن، والبخل، فاذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها، وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها، فاذا كانت جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها)، كما ان عليك إظهار الود والمحبة لزوجك بعبارات انيقة وافعال وحركات، وحفظي على سلامة بدنك، وجمالك، واحذري الخلاف، وتولي ادارته، كي لا يوقع الشيطان بينكما، وتعززي بوجود زوجك، وتذللي بفقده، وتواضعي له كي يرفعك الله تعالى عنده، وابتعدي عن الغيرة المؤذية المنفرة، واعينيه على طاعة الله تعالى، واحذري ان توافقيه على معصية، وذكريه بالله

تعالى ان اخطأ، واحفظي أسرار بيتك ولا تفشيها لأي احد، وابتعدي عن مسائل العلوم الغريبة كالفأل بالفنجان، والابراج وما شابه، ولا تتعاطي بعلاقتك معه على الاحلام والمنامات إلا إذا كانت جامعة للشمل، منمية للمحبة والالفة، وعليك بالمشورة له حتى بامورك الخاصة، وإذا استشارك فاحسني مشورته، واذعني للحق واعترفي به حتى لو كان عليك، والتزمي بحجابك، وحافظي عليه، ولا تحكمي على شيء الا بعد ان تتثبتي، واعتن بأهل زوجك وارحامه، ولا تذميهم امامه، ولا تنقديهم ابدا، واعتن بوالديه، ولا تمدحي رجلا امام زوجك، وابتعدي عن المقايسة، فلا تقيسي نفسك بغيرك، ولا زوجك بغيرة، وعليك بالقناعة به، وبحياته، واستثمري ايجابيات زوجك للقضاء على سلبياته، ولا تنغصي حياة زوجك بالنكد، والنقد، والاعتراض، وعليك بالمرونة في التعامل معه، ومع أهله، وارحامه، وحصني بيتك بالذكر، وقراءة القرآن الكريم، وإياك ان تعوزي زوجك إلى غيرك، وقدسي بيتك الزوجي، واجعلي بيتك مقدسا محترما مهابا متجللا بالاحترام، وإذا صار - لا سمح الله تعالى - زعل بينكم فاسرعي إلى مراضاته، واجعلي حياتك معه حياة مرحة تتخللها الفكاهة والمزاح، وتعلمي الاحكام الشرعية المتعلقة بالزواج، وأحكام النساء، وقدمي صورة إنموذجية للحياة الزوجية بينك وبين زوجك.

نصائح للزوج

ثم التفت إلي وقال:

ونصيحتي لك يا ولدي: أن تجاري الحياة الزوجية، وتتأقلم مع نواميسها، فحياة الزواج تختلف عن حياة العزوبية، وتحمل أعباء الزواج، بإنشراح صدر، ورضا، وفاعلية، واملئ الفراغ العاطفي لزوجتك، واجعلها تسبح في بحر محبتك، وعليك بأداء الحقوق الزوجية، أي حق زوجتك عليك، ومنها: سد جوعها، وستر عورتها، وعدم تقبيح الوجه امامها، واكرامها والرفق بها، والعِشرة الجميلة، والتوسعة عليها، والغيرة عليها، وإقالة عثرتها، والتسامح معها، والتهيئة لها باللبس اللائق، والرائحة الطيبة، والابتسامة العريضة، وحسن الخُلق معها، وجلب موافقتها ورضاها، وخدمتها، وعدم ايذائها، والجلوس معها جلسات انس، وعدم ضربها، والصبر على اذاها، وعليك بمداراة زوجتك، والتزام مكارم الأخلاق في بيتك، وعليك بالتوسعة عليها ـ قدر استطاعتك ـ بالمال، والاطعام، والاثاث، والسكن، فقد ورد في الرواية عن نبينا الأعظم ﷺ: (من دخل السوق فاشترى تحفة، فحملها إلى عياله، كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج)، وعليك بحماية الزوجة، ووقايتها، واعلم ان الغَيرة على زوجتك من الإيمان، وعليك ان تعمل على عدم لجوء زوجتك إلى غيرك، فإن في ذلك آثار سيئة كثيرة، وعليك بالعلاقة الوجدانية، الروحية معها، وان

تضحي من اجلها، وعليك بالوقوف عند حدود الله تعالى، وعدم معصيته مع زوجتك، وعليك بطيب الكلام معها، فإن الكلمة الطيبة مع الزوجة تعمر قلبها بمحبتك، وامتلك قلبها بقولك وفعلك ومواقفك، ومارس مسؤوليتك تجاه زوجتك وبيتك بجدارة وشجاعة، وعليك ان تشاركها في شؤون المنزل، أي ان تعمل معها في ذلك، وارجو منك ان تتفهم تقلب مزاج زوجتك، فإن النفس إقبال وإدبار، واختر الملبس الحسن الجذاب، وتختم باليمين، واهتم بسائر أحوال البدن، والتعطر، واسحق انايتك، ولا تتعامل بالانانية في بيتك، فإن ذلك من المهلكات، وابتعد تماما عن العصبية، والغضب، واجعل بيتك هو الأصل والأساس والخارج هو الاستثناء، وعليك بحمل الهدايا لزوجتك، وعليك باستخدام الاساليب السهلة المحببة، وابتعد عن لغة التهديد، والتجاوز، والضرب، وتفهم كل خلاف بينكما وحلّه باسلوب جميل، وهادئ، وإذا رأيت انجازا وعملك من زوجتك فقدرها وامدحها واشكرها واثني عليها، وعليك باحترامها، وعدم توهينها، وازدرائها، واحذر من نقدها امام احد، فانها منك واليك، فلا تسيء إليها امام احد، كما لا تثني عليها باوصاف مثيرة، وتجنب الثناء على زوجتك امام الرجال، وتعود على المفاجآت السارة، كما لاتمدح امراة امامها، ولا تضيق عليها كثيرا، وعليك بالتعاون والتفاهم لا التسلط والقسوة، وتقاسما الادوار، وعليك بمطالعة أهم ما

كتب حول الحياة الزوجية، وعليك بحسن الاقتصاد، والتقدير في المعيشة، ولا تحمل زوجتك فوق طاقتها، ولا تأت إليها بدون رغبتها، وعليك ان تقوي مكانة زوجتك الاجتماعية، ولا تسمح لأحد ان يمسها بسوء، فهي امانة قد اودعها الله تعالى عندك، وإياك ان تمن عليها بتقديم خدماتك، وإياك ان تنفس غضبك الذي جئت به من الخارج في بيتك، حاول أيها العزيز ان تلقي همومك الخارجية في الخارج، ولا تدخله إلى بيتك، وعليك بمفاكهة وممازحة زوجتك، وان يكون اسلوبك هينا لينا سهلا، وعليك بأن تثق بزوجتك، وعليك بالدعاء كثيرا في تدعيم بناء البيت الزوجي، وعليك ان تسهل مهمة الزوجة، والتكاليف الملقاة عليها، وقم بتحطيم الحواجز بينك وبينها.

هذه خلاصة نصيحتي لكما وقد تم جمع نصائح كهذه وغيرها في كتابين جميلين للشيخ توفيق حسن علوية، قد جلبتهما لكما، فقام الحاج بإعطاء كتاب لزينب عنوانه (مائة نصيحة للزوجة) وسلمني كتابا عنوانه (مائة نصيحة للزوج السعيد) ودعا لنا كثيرا ثم قمنا لتناول العشاء.

■■■

أحوال جديدة

يقول حسن: في هذا المقام (منازل الكمالات) بدأت تشرق على روحي اشياء روحانية، وأحوال معنوية لم اكن اعرفها قط، وهي بطبيعتها تُذاق ولا توصف ولا أعرف ان اشرحها مفصلا أو اشخصها بالدقة الا انها تأتي مصحوبة بلذة معنوية، وسعادة عجيبة لا اقدر على بيانها...

لقد تركت ملكاتي السيئة، واخطائي المهلكة والتزمت بتعليمات شيخي اليقظان في منازل الكمالات - والتي ذكرتها آنفًا - فصرت أشعر بخفَّة عجيبةٍ، حيث اشعر وكأن جسدي أخف من الهواء، وكأني اطير أو ارتفع عن الارض بضعة امتار، كل ذلك مصحوبا بلطافة عجيبة في روحي، حتى انني اتحسس الارض اثناء جلوسي أكثر من مرة، يا ترى هل انا جالس عليها أم طائر فوقها، ولقد تكرر في مناماتي كثيرا انني احلق في الهواء!

وعندما عرضت هذا الحال على شيخي اليقظان قال: عندما تترك النفس المعصية، وتكثر من ذكر الله ستنزع ثوبها المظلم،

وتلقي اثقالها فترجع خفيفة لطيفة شفافة فتشعر بذلك واقعيا فلا تستغرب!

ومن الأحوال التي حصلت لي في هذه المدة انني صرت ارفض الذنب قلبيا، واستقذره كما استقذر النجاسات المادية، فلقد صارت نفسي تنفر من المعصية كليا، وصرت اتضايق حتى من ذكر اسمها، وقد حصل لي ان جلست مرة مع مجموعة من الطلبة فاراد احدهم ان يغتاب أستاذ المادة فاختنقت وضاق صدري وعز علي الهواء ولم ارتح حتى غادرت النادي، وقد ذهبت مرة إلى مناسبة عائلية فجاء شخص وجلس في القاعة فشممت رائحة نتنة كادت روحي ان تزهق منها ولم أستطع البقاء لحظة وغادرت المكان فتبين لي انه ممن يشربون الخمر ويتعاطون المنكرات، لقد اصبحت روحي لا تطيق مخالفة الشرع، ولا تألف مجالس البطالين، وبالمقابل صرت ارتاح كثيرا إذا رأيت اشياء تذكرني بالله تعالى كرجال الدين والخطباء والمؤمنين وينشرح صدري في الأماكن المقدسة كالعتبات المشرفة والمساجد والحسينيات وغير ذلك.

ومن الأحوال التي حصلت لي خلال هذه المدة اني صرت اشتاق شوقا عجيبا يجرني بقوة إلى القرآن الكريم، والصحيفة السجادية، وإقبال الأعمال، ومصباح المتهجد، ومفاتيح الجنان، وضياء الصالحين حتى انني لا اقدر ان امنع نفسي من ذلك، فلقد صار الذكر روحي وراحتي وريحاني، وصرت لا

استطيع ان افارق الصلاة على محمد وآل محمد حتى إذا سكتت رجع لسان بلا إرادة مني، وصرت اشتاق لزيارة مولاي الحسين عليه السلام فاذهب إلى كربلاء ومعي عمار كل ليلة جمعة قدر المستطاع وإذا دخلت إلى حرمه الطاهر لا اود فراقه.

وإجمالا فقد حصلت عندي حالة مستمرة من الشوق والأنس والسعادة لذكر الله تعالى، ولم تمنعني هذه الحالة من مزاولة نشاطاتي، ودراستي، وحياتي العائلية، والعمل الجاد لإتمام أمر زواجي من زينب.

وخلال هذه الأيام رأيت عشرات الرؤى الكريمة، والمنامات المبشرة، وكانت كلها مباركة ومحفزة لي في الطريق - ومع ان المنامات ليست حجة شرعية إلا انها مُبشرات ومُنذرات كما ورد - وقد كنت اعرضها على الشيخ فيشرحها لي بشروحات غريبة ويفكك لي رموزها واشاراتها وما خفي علي منها، فلقد رأيت في منامي كثيرا من الارواح العليا كأرواح الأولياء والسالكين من أهل الله

فلقد رأيت أحد مراجع التقليد وهو يوصيني بالتفقه بالدين، ويقول لي: من لا يتفقه في دينه يندم كثيرا في آخرته ثم اعطاني كتابا كبيرا يفتح من الاعلى عنوانه (الفقه الصاعد).

كما رأيت أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وقد قال لي: بلغنا مقام صحبة المعصومين بالتواضع!

كما رأيت في عالم المنام مخلوقا نورانيا عجيبا لا هو إنسان

ولا هو طائر يقول لي: انا سورة يس من رافقني في الدنيا رافقته في الآخرة!

كما رأيت في المنام رجلا كهلا مهيبا يجلله النور وقد قال لي: لقد صرفت كل عمري في خدمة مولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام، وقد أهداني نسخة من القرآن الكريم وقال لي: إذا زرت الإمام الضامن فعليك بالاكثار من قراءة آية النور، فأن هناك سر عظيم بين هذه الآية وحضرة مولانا الرضا (صلوات الله وسلامه عليه)

كما رأيت أحد اولياء الله من القرون الغابرة وهو يردد علي: إذا أردت التوفيق فأكثر من الصلاة على محمد وآل محمد، ورأيته مرة اخرى وقد قلت له اوصني، فقال: لا تنظر إلى ما حرَّم الله ترى الجمال الحقيقي!

كما رأيت الكثير من المنامات كلها تدور حول شيء واحد وهو اني احضر مجلس الإمام الحسين وابكي على مصيبته الراتبة...

لقد اصبحت أحوالي بسبب الالتزام بالتعليمات الواردة من شيخي هكذا، واسأل الله تعالى ان يوفقني لطاعته، ويجنبني معصيته بحق محمد وآل محمد الطاهرين.

■■■

حوار هادئ حول العرفان

بينما كنا جلوسا في محل ندافة الحاج سعد، وكان عددنا يقارب السبعة أنفار وكان معي عمار أيضًا، وإذا بشخص يدخل علينا وكله غيض وخيلاء وتعالي ويظهر انه من أهل العلم وكان مضطربا وغاضبا ولكنه يخفي غضبه قدر استطاعته...

ألقى السلام على الحاج النداف، فرد الحاج السلام ورحب به مبتسما وكأنه استأذن بالجلوس فقال له الحاج:

- اكعد عمي، استريح...

واسترسل الحاج بكلامه الذي كان يكلمنا به حول سيرة سيدنا ومولانا موسى بن جعفر عليه السلام، ولكن الحاج بدأ بتغيير موضوعه بهدوء وانعطافة رائعة فقال:

- المشكلة انهم لم يعرفوا الإمام، ولم يفهموه، وكل مصائبنا تأتي من عدم المعرفة، ومن الجهل بالشيء، فلو كل واحد بينا من يسمع عن حقيقة معينة يروح يستفسر من اهلها، والمختصين الحقيقيين بيها، لما حصلت مشاكل ولا خلافات، لكن يروح يسأل ناس جاهلين بيها فيعبون راسه باكاذيب وترهات

ويأدلجونه بأدلجتهم ويتحكمون بعقله ويدفعونه للمجتمع يسقط ويحارب ويتهم...

عرفت من خلال مرافقتي للحاج والشيخ انهم ان ارادوا ان يوجهوا شخصا معينا انهم يتحدثون بالعموميات ويقاربون بكلامهم ما يريدون ان ينصحوا به الآخر، فنظرت إلى الشخص وقد تجحضتا عيناه وكأن الكلام كان عليه حصرا فلم يتمالك نفسه وانفجر قائلا:

- حجي شنو هالكلام اللي تسولفه بمحلك للناس، وتخرب عليهم حياتهم، وتفسد عليهم حتى عقيدتهم؟!

- تبسم الحاج سعد، فيما استغرب الحاضرون جميعا، ورد عليه باسلوب هادئ:

يا كلام بويه؟!

- العرفان مدري الخرفان مدري شني، هاي كلها اكاذيب وشعوذه!!

- قال له الحاج بهدوء مع شيء من الحزم:

ما هو العرفان؟!

ارجو ان تعطيني التعريف الاصطلاحي للعرفان حتى نشوف هل هو اكاذيب لا صحة لها أم لا؟!

- ظهرت ملامح الحيرة على الرجل فقال: غير معناه تصير وي الصوفية وتمارس طقوس واذكار وشعوذة

- ابتسم الحاج ابتسامة عريضة وقال: يا بويه أنت يظهر عليك خوش وليد سولف بالعلم والفهم والدراية وخليك منهجي بحوارك وكلامك هو شنو العرفان؟!

- غير جاوبتك!

- هذا تعريفك من أي مصدر من المصادر المعرفية؟!

- ما ادري، هيج سامع!!

- منين سامع من أهل العرفان لو من الشارع؟!

- لا سامع من ناس تفتهم وتعرف ودارسه.

- هذا الجواب مو منطقي لازم تروح تقرأ شنو العرفان من اهله وبعده نسولف وياك والا سامع منا ومنا هذا الكلام ما مقبول...

حاول الحاج ان يغلق الموضوع لأن الرجل لا يعرف ابجديات هذا الأمر الشريف والعلم الإلهي ولكن الرجل اصر عليه قائلا:

- هم منو اهله غير الحلَّاج وابن عربي ووو وذوله............

- قال الحاج النداف: أنت يا عزيزي اما ان تسأل تفهمًا فاجيبك واهلا وسهلا بك واما ان تحاجج مراءً وتسأل تعنتا فلا وقت لدي معك ولا استطيع محاورتك، فاذا كنت قد اتيت

للمناضرة والمجادلة فانا اعتذر لأن لدي عملي وهذا مكان رزقي تكدر تروح لناس عدهم وقت وتناقشهم

- تصور الرجل ان الحاج يتهرب من النقاش فرد عليه بجسارة: لا تتهرب من مناقشتي جاي اكلك العرفان انحراف وضلال!

- طيب صحيح هو شنو العرفان غير تعرفه اولا وبعدين تحكم بضلالته!

انت شلون تحكم على شي ما تعرفه اصلا يا اخي انطيني تعريف العرفان حتى نسولف بيه وبعدها ننتقل إلى مسائله وحدة وحدة ونثبت انحرافه والا إذا هيج تحكم على الاشياء ما اكدر اتناقش وياك...

- استحى الرجل وبانت عليه علامات الاستسلام فقال:

طيب حجي اني ما أعرف أنت جاوبني شنو العرفان؟!

- فقال الحاج: أي عرفان تقصد النظري لو العملي؟!

لأن العرفان على قسمين، فانت لازم تحدد بيا قسم نتحدث وبعدها نبين أين الانحراف واين الخلل كما تدعي جنابك!

- بكيفك، بكيفك... وسط تشتت ذهني وعجلة

- شنو بكيفي جا أنت شلون تناقش بموضوع لا تعرف تعريفه ولا تعرف اقسامه، المهم يقسم العرفان على قسمين هما: العملي والنظري، والعملي هو الاسبق وما عليه المعول ثم يأتي

علماء العرفان النظري ليصوغوا المسائل ويقعدوا القواعد على ضوء أحوال ومقامات ومشاهدات أهل العرفان العملي فالاصالة للعملي بلا شك...

وانت أيها الحبيب عليك ان تعرف ما هو العرفان العملي اولا ثم ما هي مسائله ومطالبه وبعدها تتحول إلى العرفان النظري ومن ثم تتعرف على مؤسسي هذا العلم الشريف لترى ان الأنبياء والائمة المعصومين هم من اسسوه أم غيرهم ثم تنتقل بعد ذلك لمعرفة الفرق بينه وبين التصوف بس خليك منشرح الصدر واكاديمي بمعرفتك ولا تقفل على أي موضوع لأن كالك فلان وفلان اذن الموضوع بيه عدة نقاط اولها:

١. ما هو تعريف العرفان؟!

العرفان على وزن فعلان، وهو مشتق من عَرَفَ وهو العلم، وهو اصطلاحا معرفة الحق تعالى عن طريق الكشف والشهود، هذا مختصر حقيقة العرفان واما تعريفه الدقيق فقد عرَّفه المرحوم الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي: (عبارةٌ عنْ معرفةِ اللهِ تعالى، معرفةً حاصلةً عنْ طريقِ الإدراكِ القلبيِّ الباطنيِّ، وليستْ ناتجة عنْ طريقِ الفكرِ والاستدلالِ)

والادراك القلبي الباطني هو الكشف والشهود والتجليات، ويقول الشيخ الجوادي الآملي في تعريفه: «شهودُ الواقعِ، ومعاينةُ الحقيقةِ العينيَّةِ؛ لا بالأدواتِ الحسِّيَّةِ، ولا بالآلآتِ، ووسائلِ المثالِ المتَّصلِ»

واما العارف فتعريفه عند السيد عبد الرزاق القاشاني: (العارف هو مَنْ أشهدَهُ اللهُ: ذاتَه، وصفاتَهُ، وأسماءَهُ، وأفعالَهُ، فالمعرفةُ؛ حالٌ تحدثُ مِنْ شُهُودِهِ).

والخلاصة: هي ان العرفان معرفة الله تعالى عن طريق الشهود والمكاشفة ـ ولا نعني به المعرفة التامة انما معرفة بسيطة معينة ـ

وهنا ابتسم الرجل ابتسامة ماكرة وكأنه قد وجد ثغرة كبيرة في هذا المنهج فقال بطريقة ساخرة: ومنو يكول اكو مكاشفات اصلا ومعرفة قلبية؟! اصلا هو الاخر يدعي والا فانه ماكو أي وجود لأي نظر للقلب!

ـ هنا ضحك الحاج النداف وقال:

عمي شلون تگول هيج جا ماسامع الإمام علي لمن سأله دغلب اليماني: هل رأيت ربك؟!

فقال له عليه السلام: (ويحك كيف اعبد ربًا لم أره!!)

فقال له: وكيف رأيته؟!

قال عليه السلام: لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان!

ما هو العرفان؟!

ـ هو يا عزيزي ان ترى الحقيقة والحقائق بعين قلبك البصيرية وهو درجة الأنبياء والمعصومين وعباد الله الصالحين

الذين ساروا في طريق مجاهدة انفسهم وتزكيتها إلى أن انتصروا على ملكاتهم السيئة فاشرقت أنوار الحقائق على قلوبهم بعد ان بلغوا الصفاء ونالوا درجات عالية من التقوى، ألم يطرق سمعك قوله تعالى: (وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

فالعبد بعد ان ينال درجات رفيعة من التقوى والأخلاق السامية يحضى بتعليم الله تعالى له وهذا ما حصل مع العبد الصالح الخضر (على نبينا وآله وعليه السلام) حيث قال تعالى في حقه: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا)

فالعلم اللدني هو ـ العرفان ـ وقد ورد في الروايات عن رسولنا العظيم ﷺ: (من أخلص العبادة لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه).

وانت إذا سمعت من الآخرين إنكار العرفان وعدم وجوده ألم يقرع سمعك قوله تعالى: (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)

فما هي رؤية القلب؟!

وكيف يرى؟!

فتأمل يا أخي ولا تتبع كلمات الذين لم يزكوا انفسهم ولم تشرق المعارف على قلوبهم بسبب كدورتها واشتغالهم بالمعاصي والموبقات، وحيث انهم لم يشتغلوا على كمالات نفوسهم احتجبت هذه الأنوار عن أصقاع قلوبهم القاحلة وظنوا

ان المعارف هي التي تأتي بالكسب والتحصيل دون غيرهما نسوا قول عالم العارفين وصادقهم جعفر بن محمد عليه السلام: (ليس العلم بكثرة التعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله أن يهديه، فإذا أردت العلم فاطلب أولا في نفسك حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يفهمك).

- وسط هذا الاسترسال الجميل في كلام الحاج النداف قال هذا الرجل وقد ظهرت عليه بعض آثار الاقتناع:

- طيب حاج، افهم من كلامك ان اصل المعرفة القلبية موجود، وانا اوافقك ببعض ما تفضلت ولكن ارجو منك ان تجيبني متى تأسس العرفان فعليًا؟!

أي بمعنى من الذي اسس هذا العلم؟!

ومن أرسى دعائمه؟!

فأن بعض طلبة العلم ينسبه إلى محيي الدين بن عربي وعلماء الصوفية.

- هنا قام الحاج من مكانه ليعدل بعض الافرشة التي عملها وقال: ان العرفان الحقيقي جاء مع الأنبياء وهم اول من اسس دعائمه ولكن من شيد اركانه، واعلى كيانه هم ائمتنا المعصومون عليهم السلام وعلى رأسهم مولانا امام الموحدين وامير العارفين علي بن ابي طالب ومؤسس المدرسة الجعفرية الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

- ما دليل قولك حاج؟!

ظهرت ملامح العرفان والتعليم الشهودي مع النبي آدم (على نبينا وآله وعليه السلام) في قوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) فلقد كان التعليم شهوديا ذوقيا، وكشف الله تعالى الحقائق لخليله إبراهيم (على نبينا وآله وعليه السلام) كما في قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ نُرِي إبراهيم مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) فهل رأى هذا النبي العظيم ملكوت السموات بعينه الباصرة أم بعين قلبه؟!

وتأمل معي قصة كليم الله موسى (على نبينا وآله وعليه السلام) فستجدها قد اكتنفت أهم مسائل العرفان كالتلمذة على يد شعيب، ولقائه بالخضر وما استبطن من أسرار عظيمة، وكلام الحق تعالى معه عن طريق الشجرة!

وتعال معي إلى سيرة المسيح عيسى بن مريم (على نبينا وآله وعليه السلام) حيث ستجد فكرة المريدين ماثلة للعيان في قصته مع الحواريين التي يقول تعالى فيها: (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ).

ثم جاء نبينا العظيم ﷺ ليؤسس للعرفان اركانه ويعلي بنيانه بسيرته وكلامه العطر.

وهكذا سار المعصومون على هذا النسق فتأمل كلام الإمام

علي عليه السلام حين سأله تلميذه العارف كميل بن زياد (رضوان الله عليه) عن الحقيقة حيث قال كميل لمولاه:

يا أمير المؤمنين ما الحقيقة؟!

فقال له عليه السلام ما لك والحقيقة؟

فقال كميل: «أولست صاحب سرك»

قال: «بلى»!

فقال كميل: «أو مثلك يخيب سائلا؟».

فقال عليه السلام: «الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة»

فقال كميل: «زدني فيه بيانا».

قال الإمام عليه السلام: «صحو الموهوم مع محو المعلوم».

قال كميل: «زدني فيه بيانا»

قال الإمام عليه السلام: «هتك السر لغلبة الستر»

قال كميل: «زدني فيه بيانا».

قال الإمام عليه السلام: «نور يشرق من صبح الأزل، فيلوح على هياكل التوحيد آثاره»

قال كميل: «زدني فيه بيانا».

قال الإمام عليه السلام: «إطف السراج، فقد طلع الصبح».

فتأمل هذه المعاني السامية، والأسرار الرفيعة فهل يستطيع أحد ان يأتي بمثلها ثم جاء الحسنان عليهما السلام ليتحدثوا بأعظم أسرار العرفان ويكفيك من كلامهما دعاء عرفة الوارد عن سيد

الشهداء عليه السلام فتأمل بأسراره العظيمة والتفاتاته العرفانية التي لم يقدر أحد على فك شفراتها، ثم تعال إلى الصحيفة السجادية لمولانا زين العابدين السجاد عليه السلام وتأمل العرفان ومطالبه العظيمة في التوحيد، والسير والسلوك والعرفان، والحب الإلهي، وتزكية النفس، ومجاهدتها، والسمو بها في اعلى درجات الكمال، وتأمل المناجاة الخمسة عشر وخصوصا مناجاة التائبين والمريدين والمحبين والعارفين.

ثم تعال معي إلى كلمات الإمام الباقر والصادق عليهما السلام وتأمل بمطالب العرفان فيها ويكفيك من ذلك حديث عنوان البصري وحده، ثم اذهب إلى دعاء الجوشن الصغير لمولانا موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام فبعد كل هذا التراث العرفاني العظيم تنسب العرفان إلى محيي الدين بن عربي وغيره فأي ظلم اشد من هذا...

شوف عمي: العنده جعفر الصادق ما يحتاج واحد فلا تروح بعيد...

- قال الحاج كلمته هذه وهو يضرب فراشا ضربا خفيفا وقد كانت كلماته اشد ضربا على الرجل فتأثر كثيرا

وقال ما كنت اتصور ان الأمر الا خزعبلات وشعوذة وقد فتحت لي افاقا جمة...

- وبينما يريد الرجل ان يكمل حديث قاطعه الحاج النداف قائلا: واحب اضيفلك شغله، كل واحد يكلك العرفان

والتصوف شي واحد حتى لو من العرفاء كله أنت متوهم فالعرفان الإمامي مختلف بعشرات الأمور الجوهرية مع الصوفية، من جهات شتى، عمي التصوف أخلاقيات معينه واداب وسنن مع تنظيرات لا تخلو من الاجتهادات الشخصية لمشايخ الطرق وأساتذتها اما العرفان فهو منهج معرفي عميق قائم على عقيدة دقيقة ومقامات منظمة ينتهي بالسالك إلى الكشف والشهود، افتح عيونك ولا تصدك بسوالف الصبيان خليك واعي وأنت مبين عليك متدين!

ظهرت ملامح الحياء على الرجل الذي جاء متعنتا وصعبا واراد ان يتدارك موقفه المتشدد فقال: حجي اني اللي سامعه عن العرفان غير هذا وحتى اكو كتب جمعت شطحات العرفانيين والمتصوفة....

قاطعه الحاج: حبيبي خذ طريقك إلى الله تعالى من آل محمد والقرآن الكريم ولا تتعب نفسك...

بهذه الكلمات انهى الحاج نقاشه فيما بدأ صوت قراءة القرآن يتسلل من مسجد فاطمة إلى المحل الصغير المفعم بالروحانية وقوة الموقف فقام الرجل معتذرا وقمنا للصلاة...

■ ■ ■

يوم الزواج

اليوم هو الثالث عشر من شهر رجب المبارك وهو يوم مولد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وقد وقع اختيارنا انا وزينب عليه لجعله يوم زواجنا، لقد انطلقت بنا السيارة الخاصة لصديقي الوفي عمار إلى كربلاء المقدسة، حيث حجزنا فندقا هناك، وقد اديت برنامجي الخاص في السيارة وكنت بين وقت ووقت اتحدث مع عمار عن أحواله وشؤونه العامة والخاصة، وفي المقعدين الخلفيين كانت تجلس زينب وامها، وفي الطريق اتصل بي الشيخ يقظان والحاج سعد النداف ليهنئاني ويباركان لي...

* ما أجمل بركات السير في طريق الله تعالى، انه يعطيك لونا جميلا للحياة هنا، ومقاما كريما للحياة هناك، فتعال يا صديقي واسلك الدرب، فأن المسكين الحقيقي هو من حُرم المسير نحو الحق تعالى.

وصلنا كربلاء المقدسة وتوجهنا نحو مولانا ابي الفضل عليه السلام

وبعد لثم اعتابه والمكث قليلًا في حرمه الطاهر، ثم توجهنا نحو مولانا سيد الشهداء عليه السلام، وبعد استقرارنا في الفندق قال لي عمار انه سيذهب لزيارة قبر العارف السيد هاشم الحداد في مقبرة كربلاء القديمة.

■ ■ ■

الحبُّ الإلهي

لقد بدأت روحي تستشعر الجمال الإلهي فعليا، وصرت أتذوق حلاوة الإيمان بطريقة عملية لا نظرية، وصرت كفراشة تحوم حول الشمعة لا تستطيع ان تنفك عنها، وترى ان نور المحبوب يحيط بها من كل جهة، كالغريق في الماء، توهجت المحبة في روحي وفاضت لتحب أهل الإيمان ومن لهم اتصال بي كأمي وزوجتي واخواتي واصحابي...

لقد ادت الكمالات التي اعطاني اياها شيخي اليقظان - والتي ذكرتها في هذا الكتاب بعنوان (منازل الكمالات) مفعولها في نفسي - فصرت مشدودا إلى سيدي ومولاي وربي وإلهي، وصرت استأنس بالذكر كأستئناس العاشق بمعشوقه، وصار قلبي يحن إلى الطاعة وينفر من المعصية، وقد حصلت على جذبة المحبة ببركات الذكر وخصوصا (الصلاة على محمد وآل محمد) ومناجاة المحبين وادعية الصحيفة السجادية، فاشعر بشوق عارم للصلاة، ولقراءة القرآن، ولحرم مولاي الحسين، وللقاء أستاذي، ولمجالسة اهلي، وصار لساني يلهج بذكر (يا خير حبيب ومحبوب)...

ولما بلغ الحنين أوجه، ووصل الهيام حدَّه، وواصل بحر الحب مدَّه قصدت أستاذي وابي الروحي الشيخ يقظان إلى داره لاشرح له ما انا به من انس بالله تعالى، وشوق لذكره، ولأخبره ببعض الأحوال الخاصة التي حصلت عليها من يوم زواجي إلى الان، فاستقبلني بحفاوة بالغة، واهتمام كبير ثم شرعت باخباره بكل ذلك فقال:

(إعلم يا عزيزي ان المؤمن إذا اجتنب المعصية، وترك الذنب، وهجر الخطايا، وهدم معبد الاوثان، واجتاز وديان الملكات السيئة بناقة الهمة، وجياد الشجاعة، وسيف المجاهدة، رافعا راية النصر على نفسه الامارة، حينها سيدخل في وادي الكمالات الذي حدثتك عنه سلفا، وبعد العمل المستمر بهذه التوصيات، والاستمرار على هذه الكمالات الأخلاقية ستشتعل روحه لا اراديا بمحبة الله تعالى ومحبة اوليائه، وستتعلق روحه بكل ما يذكرها بالمحبوب سبحانه حينها سيدخل في بحار المحبة، ويخوض لجج الهيام ويدخل في اعماق بحر العشق الإلهي، وهذا بدأت به للتو، فبعد ان عالجت ملكاتك، والتزمت بالكمالات، انقدحت في قلبك شرارة الحب الإلهي، وها أنت في بداية هذا المقام فدعني احدثك عن حقيقة الحب الإلهي وبعض تفاصيله فاعطني مجامع قلبك بينما اذهب لاجلب لك الشاي...

نهض الأستاذ وانا خجل من تصرفه ولكنها أخلاق أهل الله حيث يخدمون الضيف بانفسهم...

قدم لي الماء والشاي ثم جلس على الاريكة امامي وقال:

(حب الله تعالى من اعظم المقامات العرفانية، ولا يصل إليه الا من وفقه الحق لذلك، وهو افضل العبادة كما ورد في الاحاديث وشدة الحب لله تعالى مقام عظيم اعطاه الله للمؤمنين كما ورد في القرآن الكريم:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾ فانظر يا عزيزي قد وصف الله المؤمنين بانهم شديدو الحب لله تعالى، ولهذا السبب أمر نبينا العظيم ﷺ بالحب فقال: (أحبوا الله من كل قلوبكم) واعطى الله تعالى كرامة لمن يبلغ هذا الحب بجعله عزيزا غير محتاج للآخرين كما ورد عنه ﷺ: (من آثر محبة الله على محبة نفسه، كفاه الله مؤونة الناس) وقد عدَّها المسيح عيسى (على نبينا وآله وعليه السلام) أفضل الأعمال حين سُئل عن أفضل الأعمال فقال: الرضا عن الله، والحب له)(١) وقد جعله مولانا الباقر عليه السلام كل الإيمان فقال: (إنما الإيمان هو الحب) وجعله مولانا الصادق عليه السلام أفضل من الخوف فقال: (الحب أفضل من الخوف)(٢)

---

(١) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني ج ٨ ص ٨٨.

(٢) الكافي، ... ج ٨ ص ١٢٩.

وحب الله تعالى هو النعمة الكبرى، والهدية العظمى التي يختص بها الله تعالى ولذا يقول امامنا الصادق عليه السلام: (ما أنعم الله ـ عز وجل ـ على عبد أجلَّ من أن لا يكون في قلبه مع الله تعالى غيره)[1] وقال عليه السلام: (لا يمحض رجل الإيمان بالله، حتى يكون الله أحب إليه من نفسه، وأبيه، وامه، وولده، وأهله، وماله، ومن الناس كلهم)[2]

ثم تعال معي أيها العزيز لآيات المحبة في القرآن الكريم وانظر إلى قوله تعالى: (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) أي ان محبة الله آثر في نفوسكم واقرب مما سواه، ثم انظر معي لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ البقرة١٦٥

وتأمل في معنى (أشد حبًا) وهو المسمى عند أهل اللغة بالعشق الذي هو شدة الحب، والمحب أيها العزيز يعطي كل

(١) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ج ٧٠ ص ٢١١.
(٢) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ج ٧٠ ص ٢٤، ٢٥.

شيء لأجل محبوبه ولذا قال تعالى في حق المتقين: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ البقرة١٧٧ وفي حق سادتنا أهل البيت عليهم السلام: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ الإنسان٨.

ويقرر القران الكريم ان الحب يُلقى من الله تعالى فيقول سبحانه: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ طه٣٩

ثم انظر إلى من يحب ومن لا يحب وما يحب وما لا يحب في القرآن الكريم:

١. إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
٢. إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ
٣. فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ
٤. وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
٥. إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
٦. وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ
٧. وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
٨. إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ

٩. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

١٠. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ

- واما الذين لا يحبهم الله تعالى فهم:

١. واللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

٢. إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ

٣. وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ

٤. واللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ

٥. فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ

٦. وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

٧. إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا

٨. إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا

٩. لاَّ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ

١٠. وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ

١١. إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ

١٢. إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ

١٣. إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ

١٤. إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ

١٥. إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ

١٦. إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ

١٧. إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ

١٨. إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ

١٩. إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

ويضع الله تعالى معيارا حقيقيا لحب الله تعالى وهو إتباع النبي وأهل بيته ﷺ فيقول على لسان نبيه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ثم تعال - يا عزيزي - إلى ما ورد عن النبي وآله في حب الله تعالى ففي ما يورث محبة الله تعالى ورد في حديث المعراج (يا محمد: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، ووجبت محبتي للمتعاطفين فيَّ، ووجبت محبتي للمتواصلين فيَّ، ووجبت محبتي للمتوكلين عليَّ، وليس لمحبتي علم ولا غاية ولا نهاية، وكلما رفعت لهم عَلَما وضعت لهم عَلَما)[١].

ويحب الله الحليم فقد ورد عن النبي ﷺ: (وجبت محبة الله على من أُغضب فحَلَم)[٢] ويحب من أكثر ذكر الموت فقد ورد عنه ﷺ: (من أكثر ذكر الموت أحبَّه الله)[٣]، وقيام الليل يورث محبة الله تعالى والمتصدق والمجاهد، فقد قال ﷺ: (ثلاثة يحبهم الله عز وجل: رجل قام من الليل يتلو كتاب الله،

---

(١) أرشاد القلوب، الديلمي، ص ١٩٩.

(٢) كنز العمال: ٥٨٢٦.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٢٢.

ورجل تصدَّق بيمينه يخفيها عن شماله، ورجل كان في سرية فانهزم أصحابه فاستقبل العدو)[١].

ومن يلطف بالخلق ينال محبة الله أيضًا، فقد ورد عن مولانا الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (قال الله عز وجل: الخلق عِيالي، فأحبهم إليَّ ألطفهم بهم، وأسعاهم في حوائجهم)[٢]

وأما أفضل الأعمال التي يحبها الله تعالى فقد بينها رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاثة يحبها الله: قلة الكلام، وقلة المنام، وقلة الطعام.

ثلاثة يبغضها الله: كثرة الكلام، وكثرة المنام، وكثرة الطعام)[٣] و(ثلاثة يحبها الله سبحانه: القيام بحقه، والتواضع لخلقه، والإحسان إلى عباده)[٤] وقال الإمام علي عليه السلام: (أحب الأعمال إلى عز وجل في الأرض الدعاء)[٥] وعنه عليه السلام: (ما عُبد الله بشيء أحب إلى الله من إدخال السرور على المؤمن).

ولحب الله تعالى آثار كثيرة ومنافع جليلة من أهمها: حسن العبادة وروحها وجمالها ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إذا احب الله عبدا ألهمه حسن العبادة)[٦] والسكينة، لذا قال عليه السلام:

---

(١) كنز العمال: ٤٣٢٥٦.
(٢) الكافي ج ٢ ص ١٩٩.
(٣) تنبيه الخواطر ج ٢ ص ٢١٣.
(٤) تنبيه الخواطر ج ٢ ص ١٢١.
(٥) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٩.
(٦) غرر الحكم: ٤٠٧٣.

(إذا أحب الله عبدا زيَّنه بالسكينة والحِلم)[1] والصدق والإتعاظ بالعبر والاشتغال بالذكر والوصال وحب الطاعة ولزوم القناعة، قال الإمام الصادق عليه السلام: (إذا أحب الله تعالى عبدا ألهمه الطاعة، وألزمه القناعة، وفقَّهه في الدين، وقوَّاه باليقين، فاكتفى بالكفاف، واكتسى بالعفاف، وإذا أبغض الله عبدا حبب إليه المال، وبسط له الآمال، وألهمه دنياه، ووكله إلى هواه، فركب العناد، وبسط الفساد، وظلم العباد)[2].

ومن اعظم ما ورد في الحب الإلهي قول امامنا الصادق عليه السلام: (قال الصادق عليه السلام: حب الله إذا أضاء على سر عبد أخلاه عن

كل شاغل وكل ذكر سوى الله عند ظلمة، والمحب أخلص الناس سر الله، وأصدقهم قولا، وأوفاهم عهدا، وأزكاهم عملا، وأصفاهم ذكرا، وأعبدهم نفسا تتباهى الملائكة عند مناجاته وتفتخر برؤيته، وبه يعمر الله تعالى بلاده، وبكرامته يكرم عباده، يعطيهم إذا سألوه بحقه، ويدفع عنهم البلايا برحمته، فلو علم الخلق ما محله عند الله ومنزلته لديه ما تقربوا إلى الله إلا بتراب قدميه.

---

(١) غرر الحكم: ٤٠٩٩.

(٢) أعلام الدين: ص ٢٧٨.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: حب الله نار لا يمر على شئ إلا احترق

ونور الله لا يطلع على شئ إلا أضاء، وسحاب الله ما يظهر من تحته شئ إلا غطاه وريح الله ما تهب في شئ إلا حركته، وماء الله يحيى به كل شئ، وأرض الله ينبت منها كل شئ، فمن أحب الله أعطاه كل شئ من المال والملك.

قال النبي ﷺ: إذا أحب الله عبدا من أمتي قذف في قلوب أصفيائه وأرواح ملائكته وسكان عرشه محبته ليحبوه فذلك المحب حقا، طوبى له ثمطوبى له، وله عند الله شفاعة يوم القيامة.

وقال الصادق عليه السلام: المشتاق لا يشتهي طعاما، ولا يلتذ بشراب

ولا يستطيب رقادا، ولا يأنس حميما، ولا يأوي دارا، ولا يسكن عمرانا، ولا يلبس لينا، ولا يقر قرارا، ويعبد الله ليلا ونهارا، راجيا أن يصير إلى فعل، ويناجيه بلسان شوقه معبرا عما في سريرته، كما أخبر الله عز وجل عن موسى عليه السلام في ميعاد ربه بقوله: «وعجلت إليك رب لترضى» وفسر النبي ﷺ عن حاله أنه لا أكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئا من ذلك في ذهابه ومجيئه أربعين يوما، شوقا إلى الله عز وجل، فإذا دخلت ميدان الشوق فكبر على نفسك ومرادك من الدنيا، وودع جميع المألوفات، وأحرم عن سوى معشوقك، قد

ولت بين حياتك وموتك لبيك اللهم لبيك، أعظم الله أجرك، ومثل المشتاق مثل الغريق ليس له همة إلا خلاصه وقد نسي كل شئ دونه)[1].

ثم تأمل معي أيها العزيز مناجاة المحبين لمولانا زين العابدين السجاد عليه السلام وأنظر إلى عمق مطالب الحب والوصال في هذا النص العجيب

ـ هذا تمام البيان عن المحبة في القرآن الكريم، وروايات النبي وآله الطاهرين فتأمل فيها وتدبرها فتح الله تعالى عليك أيها المريد الحبيب، ثم تعال لي يوم غد لأكلمك عن محبين إثنين ذاقا حلاوة هذا المقام لعلك تنتفع من سيرتهما وفقك الله تعالى.

مناجاة المحبين

اِلهي مَنْ ذَا الَّذي ذاقَ حَلاوَةَ مَحَبَّتِكَ فَرامَ مِنْكَ بَدَلًا، وَمَنْ ذَا الَّذي اَنِسَ بِقُرْبِكَ فَابْتَغى عَنْكَ حِوَلًا، اِلهي فَاجْعَلْنا مِمَّنِ اصْطَفَيْتَهُ لِقُرْبِكَ وَوِلايَتِكَ، وَاَخْلَصْتَهُ لِوُدِّكَ وَمَحَبَّتِكَ، وَشَوَّقْتَهُ اِلى لِقائِكَ، وَرَضَّيْتَهُ بِقَضائِكَ، وَمَنَحْتَهُ بِالنَّظَرِ اِلى وَجْهِكَ، وَحَبَوْتَهُ بِرِضاكَ، وَاَعَذْتَهُ مِنْ هَجْرِكَ وَقِلاكَ، وَبَوَّأْتَهُ مَقْعَدَ الصِّدْقِ في جِوارِكَ، وَخَصَصْتَهُ بِمَعْرِفَتِكَ، وَاَهَّلْتَهُ لِعِبادَتِكَ، وَهَيَّمْتَ قَلْبَهُ لاِرادَتِكَ، وَاجْتَبَيْتَهُ لِمُشاهَدَتِكَ، وَاَخْلَيْتَ وَجْهَهُ

---

(1) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٢٣.

لَكَ، وَفَرَّغتَ فُؤادَهُ لِحُبّكَ، وَرَغَّبْتَهُ فيما عِنْدَكَ، وَأَلْهَمْتَهُ ذِكْرَكَ، وَأَوْزَعْتَهُ شُكْرَكَ، وَشَغَلْتَهُ بِطاعَتِكَ، وَصَيَّرْتَهُ مِنْ صالِحي بَرِيَّتِكَ، وَاخْتَرْتَهُ لِمُناجاتِكَ، وَقَطَعْتَ عَنْهُ كُلَّ شَيْءٍ يَقْطَعُهُ عَنْكَ، اَللّهُمَّ اجْعَلْنا مِمَّنْ دَأْبُهمُ الْاِرْتِياحُ اِلَيْكَ وَالْحَنينُ، وَدَهْرُهُمُ الزَّفْرَةُ وَالْأَنينُ، جِباهُهُمْ ساجِدَةٌ لِعَظَمَتِكَ، وَعُيُونُهُمْ ساهِرَةٌ في خِدْمَتِكَ، وَدُمُوعُهُمْ سائِلَةٌ مِنْ خَشْيَتِكَ، وَقُلُوبُهُمْ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحَبَّتِكَ، وَاَفْئِدَتُهُمْ مُنْخَلِعَةٌ مِنْ مَهابَتِكَ، يا مَنْ اَنْوارُ قُدْسِهِ لِاَبْصارِ مُحِبّيهِ رائِقَةٌ، وَسُبُحاتُ وَجْهِهِ لِقُلُوبِ عارِفيهِ شائِقَةٌ، يا مُنى قُلُوبِ الْمُشْتاقينَ، وَيا غايَةَ آمالِ الْمُحِبّينَ، اَسْاَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُوصِلُني إلى قُرْبِكَ، وَاَنْ تَجْعَلَكَ اَحَبَّ اِلَيَّ مِمّا سِواكَ، وَاَنْ تَجْعَلَ حُبّي اِيّاكَ قائِدًا إلى رِضْوانِكَ، وَشَوْقي اِلَيْكَ ذائِدًا عَنْ عِصْيانِكَ، وَامْنُنْ بِالنَّظَرِ اِلَيْكَ عَلَيَّ، وَانْظُرْ بِعَيْنِ الْوُدِّ وَالْعَطْفِ اِلَيّ، وَلا تَصْرِفْ عَنّي وَجْهَكَ، وَاجْعَلْني مِنْ اَهْلِ الْاِسْعادِ وَالْحَظْوَةِ عِنْدَكَ، يا مُجيبُ يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ.

■■■

حب الله تعالى
بين الشيخ رجب علي الخياط، والشيخ جواد الأنصاري

قال الشيخ اليقظان:

(دعني احدثك اليوم عن روحين طاهرين بلغا درجات رفيعة في حب الله تعالى، وهما قدوة صالحة في هذا المقام:

الأول: العبد الصالح والعارف الكبير الشيخ رجب علي نكوكويان الخياط الذي ولد في طهران سنة ١٣٠٠ هـ ونشأ فيها بدار بسيطة ورثها من أبيه وكان عمله الخياطة وكان بسيطا للغاية وسمحا للنهاية، ولم يكن من العلماء، ولا من طلبة العلوم الدينية ولكنه كان مطلعا على المعارف الدينية، ومتفقها في المسائل الرئيسة في الدين، ولديه إلمام جيد بالقران الكريم، والاحاديث الشريفة، وكان دائم الحضور لمجالس الوعظ والعزاء على سيد الشهداء عليه السلام.

وفي بداية شبابه تعرَّض إلى قصة شبيهة بقصة سيدنا النبي يوسف بن يعقوب (على نبينا وآله وعليهما السلام) مع زوجة

عزيز مصر فلم يقترف المعصية، فهو بسبب تركه للقبيح وهروبه من هذه المرأة التي أرادت منه المعصية طلب من الله تعالى ان يربيه ويهذبه ويزكي نفسه ففتح الله بصيرته، وصارت روحه نورانية، ووجوده ملكوتيا، وبسبب الاستمرار بمجاهدة النفس وترك الذنوب فتح الله عينه البرزخية وصار يرى ما لايراه الآخرون، وكان يرى ان العمل إذا كان لله تعالى فأنه يفتح عين القلب، فطالما ما كان يقول: (ان المرء إذا عمل لله، يفتح الله قلبه سمعًا وبصيرة).

ونتيجة لتهذيبه لنفسه، ومجاهدته لهواها، وتركه للمعاصي، واستمراه بالطاعة، ولزوم ذكر الله تعالى، والاشتغال بالنوافل، والمستحبات، وحضوره الدائم لمجالس شهيد كربلاء عليه السلام أصبح الشيخ الخياط من المحبين الحقيقيين لله تعالى، فقد كان محبًا حقيقيا لله تعالى، لا يرى في الوجود غيره، ولا يعنيه الا رضا محبوبه، وكان الله تعالى في كل كلامه، فلا يتحدث الا به تعالى، الا بما هو ضروري جدا، وكان يرى ان الاساس الجامع للكمالات هو الفلاح الذي يكون بعد تزكية النفس لدلالة قوله تعالى: (قد أفلح من زكاها)، وكان يعتقد ان العمل الاساسي في بناء الذات وتزكية النفس هو (التوحيد) ولذا كان شعار الأنبياء هو (لا إله إلا الله) ولكن التلفظ بهذه العبارة الشريفة لا يكفي بل لا بد من التوحيد الحقيقي العملي، ولذا كان يقول: (أساس بناء الذات هو التوحيد، فكل من يريد

تشييد بناء لا بد وان يكون الاساس الذي يبني عليه اساسا سليما ورصينا، وإذا لم تكن القاعدة رصينة ومتينة لا يكون البناء موضع ثقة واطمئنان، اذ يجب على السالك ان يبدأ مسيرته بالتوحيد، فقد كانت الكلمة الأولى لجميع الأنبياء هي كلمة (لا إله إلا الله)، وما لم يدرك الإنسان حقيقة التوحيد، ويؤمن بعدم وجود مؤثر آخر في الكون غير الله، وان كل شيء فانٍ إلا وجهه، ولا يتسنى له بلوغ مرتبة الكمال الإنساني فالإنسان يستطيع من خلال إدراك حقيقة التوحيد التوجه إلى الله بكل وجوده) ويرى أن تطهير القلب من الشرك هو الخطوة الأولى نحو التوحيد ومن هذا الباب ينفد إلى الاخلاص الذي يشكل العمود الفقري لمدرسته السلوكية والعرفانية، ومن نهر الاخلاص يتذوق العبد ماء المحبة الإلهية، وحب الله تعالى عنده يعالج مساوئ الاخلاص، ويضع مكانها الصفات الحميدة، والذي يذوق محبة الله تعالى الحقيقية سوف لا ينصرف إلى غيره ولذا يقول سيد الساجدين عليه السلام: (إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلا، ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حولا)

الحب جذَّاب إذا تغلغل في الروح
يغلق باب القلب عما سوى الحبيب

ولقد كان (رضوان الله عليه) أستاذا في الحب الإلهي، وكانت المحبة اعظم صفة عنده وكان يعد الحب أعلى منازل

العبودية وكان يقول: (يُقاس ميزان الأعمال بمدى حب العامل لله تعالى) وكان يعتقد ان المبدأ الاساسي في محبة الله تعالى هو معرفته سبحانه اذ لا يمكن للإنسان ان يعرف ربه ولا يحبه ولذا ورد عن امامنا الحسن المجتبى: (من عَرَفَ الله أحبه)!

- لو رأيت يوسف وميَّزت بين يدك، لحق لك أن تلوم زليخا!

وكان يرى ان العشق الإلهي التام لا يتحقق الا بالكشف والشهود فاذا بلغ ذلك كان من المستحيل، ولا يرى سبيلا للوصول إلى الشهود الا بتطهير القلب من تراب الخطايا وغبار الرذائل ولذا يقول الإمام السجاد عليه السلام: (وان الراحل اليك قريب المسافة، وانك لا تحتجب عن خلقك الا ان تحجبهم الاعمال دونك)

- جمال الحبيب لا ستر له ولا حجاب

أزل غبار الطريق لكي تستطيع النظر إليه

ولذا كان يقول: (كل ما يطلبه القلب يتجلى له، فاسعوا بجد لتكون قلوبكم مرآة تعكس محبة الله، كل ما يرغب فيه الإنسان تنعكس صورته في قلبه، ويفهم أهل المعرفة من خلال النظر إلى قلبه حقيقة صورته في قلبه، فاذا أُغرم بجمال وجه شخص، أو كان لديه ولع شديد بالاموال والاملاك، فهذه الاشياء هي التي تشكل صورته البرزخية).

وكان يرى ان الحب هو المبدأ الاساسي لنيل الأسرار الإلهية، والمقامات الرفيعة.

وكان يعتقد ان الطريق لحب الله تعالى يحصل من خلال محبة الخلق عموما وحب الناس والاحسان إليهم وخدمتهم وبالاخص المساكين والمحرومين والمستضعفين.

قال النبي الاكرم ﷺ: (الخلق عيال الله، فاحب الخلق إلى الله، من نفع عيال الله، وأدخل على أهل بيت سرورا)[1].

وكان يعتقد ان آفة حب الله تعالى هي حب الدنيا لقول سيد المرسلين: (حب الدنيا وحب الله لا يجتمعان في قلب ابدا)[2]

لقد عاش الشيخ الخياط عارفا محبا لله تعالى في هذه الدنيا حتى ارتحل عنها بقلب مطمئن سنة ١٣٨١ رحمه الله تعالى ورزقنا صحبته في عالم الملكوت[3].

ثانيا: الشيخ جواد الأنصاري (قدس سره)

وأما الروح الثانية فهو العاشق الحقيقي للحق تعالى، والذي صرف وجوده المبارك في خدمة حبيبه ومريديه فهو الشيخ جواد الأنصاري (رحمه الله تعالى)، فلقد كان متصلًا بالله تعالى بطريقة عجيبة!

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١٦٤.
(٢) ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري، ج ٢ ص ٩٦٠.
(٣) للإستزادة عن حياة الشيخ الخياط، انظر: كيمياء المحبة، الشيخ محمد الريشهري.

ـ (إن روح المؤمن لأشد إتصالا بروح الله من أتصال شعاع الشمس بالشمس)

ولذا كان مصداقا للقول (العارف لو سهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقا اليه)

لقد ولد (رضوان الله عليه) سنة ١٣٢٠ هـ في همدان، وتلقى تعليمه للعلوم الدينية فيها حتى نال مرتبة الإجتهاد ثم شدَّ الرحال إلى قم المقدسة حيث قبر السيدة المعصومة عليها السلام والحوزة العلمية المباركة، فحضر درس آية الله العظمى السيد عبد الكريم الحائري (قدس سره) وكانت له علاقات وطيدة بمراجع الدين العظام.

لقد حصلت مع الشيخ الأنصاري حادثة عجيبة جعلته يتحول كليا إلى عالم العشق الإلهي والسير والسلوك والعرفان.

نحن نار العشق إذا وصلنا إلى الشمع

مثل الشمع وصلنا إلى الفراش المظلوم

قـمـبـنـا بـهـجـوم رجـولـي مـجـنـون

كي نعطي العلم ونصل إلى المعلوم

بـآية الـكـرسي نـحـو الـعـرش قـفـزنـا

ركضنا حتى وصلنا إلى الحي القيوم

ملخص هذا الحادثة ـ يا حسن ـ ان بعض طلبة الشيخ قد أخبره بوجود عارف عاشق يأتي هذه الأيام إلى همدان ويلتقي بالشباب وطلبة العلوم الدينية والكسبة فيستمع الناس اليه،

ويجلسون بين يديه ليستمعون إلى كلماته الأخلاقية والعرفانية، وكان الشيخ في وقتها لم يقتنع بمنهج العرفان، بل كان يراه طريقا منحرفا وغير مستقيم، فقرر الشيخ الانصاري ان يذهب إلى ذلك العجوز المسكين ويدحض كل كلامه امام الناس، ويبطل دعواه، فقصده بهمة عالية واصرار ليرد عليه، فلما دخل الشيخ الانصاري ابتدأ بالكلام ضد العرفان والسير والسلوك وقدم ادلة كثيرة على نقض المنهج والعارف ساكت لم ينطق حرفا واحدا!

واستمر المجلس لساعتين والشيخ منهمك في البيان والرفض والذم والقدح ووو

كل هذا والعارف المسكين مطرق برأسه ولم يتكلم حتى إذا فرغ شيخنا الانصاري من بيانه رفع العارف رأسه ونظر بعين ربانية بعين الشيخ وقال كلمة واحدة فقط:

(عن قريب ستشتعل أنت نارا بمحترقي العالم)

(يوما ما ستشرق الشمس على قلوب الوالهين)

يقول الشيخ الانصاري: شعرت ان هذه الكلمة كانت كالسهم الشديد الذي ضرب صدري فشعرت بحرارة غريبة قد اخترقت صدري واستقرت بقلبي فاصابني ذهول وانكسار شديد، ولا أدري ما الذي حصل لي على اثر تلك الكلمة فطأطأت رأسي وقمت من المجلس وانا اشعر ان حرارة بدأت تدب في جسدي وصرت لا اشعر بجوع أو اعطش أو أي شي

وخرجت من الدار ولا أدري ماذا حصل لي على اثر هذه الكلمة!

وصلت داري والقيت نفسي على فراشي حيرانا مذهولا مضطربا وبمجرد ان غفوت رأيت ساقيا يسقيني شرابا احمرا بكأس مكتوب على جوانبها:

(العارف فينا كالبدر بين النجوم، وكجبريل بين الملائكة)

وحين استيقظت من النوم وجدت ان حب الله تعالى قد تملكني، واصبحت اسير العشق.

كل من لم يكن فيه من هذا العشق لون

ليس عند الله الا خشب وحجر

العشق يُخرج من كل حجر ماءً

العشق يرسم في كل مرآة لونا

الكفر بالحرب، والإيمان بالصلح

العشق يشعل النار في كل صلح وحرب

لقد اجتذبته العناية الإلهية، وأصابه سهم العشق، واصبح قلبه ملتهبا بالحب الإلهي، ولم يكن يشعر بالانس والاستقرار الا بوصال مولاه، والجلوس بين يديه، وقد ترك الدنيا لأهلها، وصار يأنس بالحب والذكر والوصال، فسلم امره لله تعالى، وتعلق بأذيال سادات الزمان، الائمة المعصومين عليهم السلام متوسلا بهم، طالبا العناية الخاصة، والتربية الكاملة، ففتح له الله تعالى

ابواب الفيوضات بمعونة النبي وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم اجمعين)

يقول: (من حينها وما بعد كلما كانت مكاشفات، أو طوارئ ذهنية تظهر علي، ولم اتمكن من ايجاد جوابها، كنت اتوسل بساحة النبي الأكرم ﷺ وكنت أجد الجواب)

لقد كانت الصلاة انسه، والدعاء شغله، وكانت صلاته عجيبة، وأحواله فيه اعجب، وكان يهتم بها جدا، ويوصي كثيرا بالنوافل، وكان يأتي بالواجبة مع جميع مستحباتها، وكان يهتم كثيرا بالقرآن الكريم فقد كان يقرأه بين الطلوعين لمدة ساعة ونصف، وكان يقول:

(شيئان يجعلان في الإنسان النور، انظروا إلى قارئي العزاء كم هي نورانية، سببه مطالعة الاخبار واحاديث محمد وآل محمد ﷺ هي تجلب النور، وكذلك القرآن وآيات كتاب الله المجيد...)

كما كان يعتني بقيام الليل ايما عناية، وله في صلاة الليل أحوال يصعب شرحها، وكان من أهل الكتمان، مبتعدا عن القيل والقال، والاشتغال بصفات أهل الدنيا، وكان يعتقد - وهو الصواب - ان الطريق الحقيقي نحو الحق تعالى يتمثل في الالتزام بالشريعة وترك نواهيها وكان يقول: (كل ما قال الله افعل فافعل، وكل ما قال الله لا تفعل فلا تفعل) ولديه عبارة جامعة يقول فيها:

(كل ما هو موجود هو في الشرع المقدس، جميع مراحل العرفان والسير والسلوك، حتى المراحل النهائية التي هي الفناء في الله جاء في كلام الائمة المعصومين في الاخبار والاحاديث، وموجود في كلام الله)

وكان يؤكد على ترك المعصية، ويتجنب المجالس التي يكون فيها الغيبة، وكان يؤكد على طلب العلم، والتفقه بعلوم أهل البيت عليهم السلام، وكان يؤكد على ضرورة دفع الحقوق الشرعية كالزكاة والخمس، وينبه كثيرا على اثر اللقمة ودورها في السير والسلوك، وكان يحذر من الطرق الباطنية التي لا تأخذ مسلك أهل البيت عليهم السلام ولا تعتن بالشريعة واحكامها، وكان يؤكد عمليا في سلوكه على حسن الخلق، وسعة الصدر، والمحبة...

فلتحيا ذكرى حديث الليالي مع أهل القلوب النقية
كان البحث عن سر العشق، وذكر حلقة العشاق
حسن لطفاء المجلس، وان كان يسلب القلب والروح
كان بحثنا عن لطف الطبع، وحسن الأخلاق

وكان يعتني كثيرا بطلبته، ومريديه ويرى ان حياته وقفا لمحبيه، وكان يأخذهم بالاحضان الا ذوي النوايا السيئة الذي يأتون من اجل حطام العجوز وشهرة الفاتنة فكان يقول لهم: (لا تفعلوا هذه الاعمال، انكم تضيعون وقتكم ووقتي)، وكان منهجه العرفاني يرفض الانزواء، والابتعاد عن المجتمع، بل كان يوصي طلابه بان يعيشوا مع الناس، ويتزوجوا، ويخالطوا

الخلق، وان يكون لديهم عمل مناسب بشأنهم، وكان يعتقد بضرورة وجود الأستاذ في الطريق، وقد بحث بنفسه كثيرا عن الأستاذ والدليل:

لا تقطع هذه الرحلة بدون الخضر
لا تأخذ أي نَفَس الا في ظل الشيخ
فخذ بذيل ذاك المتنفس بقوة
اذا اخذت بقوة فإن ذاك هو توفيقه
كل قوة تأتي فيك هي جذبته
اختر الشيخ فبدون الشيخ هذا السفر
كثيرا ما يكون مليئا بالآفة والخوف والخطر
كل من سار الطريق بدون مرشد
فهو سيضله الغيلان ويقع في البئر

ومن الأمور التي ينبغي ملاحظتها في منهجه العرفاني هو عدم اهتمامه بالمكاشفات والكرامات، وكان يحذر من الاشتغال بها والبحث عنها، وكان لا يعدها دليلا على المقامات، وكان يراها تشغل القلب احيانا، وتوقع السالك في شراك الغرور، وكان يتدخل احيانا لرفع المكاشفات من طلبته، يقول أحد طلبته: (لقد نُهينا بذاك القدر عن الكشف والكرامات، بحيث انه إذا حصل لأحد التلامذة كشف كان ينزعج كثيرا، يفكر بأنه: ماذا فعلت حتى حصل لي ذلك؟!

وكان ينفعل وينزعج ويعتبر ذلك بالنسبة إليه قصورا، لأنه لم يعبر من النفس...) وكان الشيخ الانصاري يقول: (طريق معرفة الله أخص من هذه الأشياء) وكان يعتقد ان الطريق محصور بولاية أهل البيت عليهم السلام وان الإمام المعصوم هو محل معرفة الله والدليل إليه ومن يريد ان يصل إلى الله تعالى يجب ان يكون مواليا للمعصوم قلبا وقالبا ولا معرفة لله تعالى الا بمعرفة الائمة عليهم السلام وكان يعتقد ان ظهور التوحيد هو الولاية بل الولاية مندكة في التوحيد ولا يمكن الفصل بينهما مطلقا، واما التوحيد المنفصل عن الولاية فليس من العرفان الحقيقي ولا قيمة له!

واما أحواله الخاصة وكراماته فلا سبيل لبيانها، لقد رحل الشيخ الانصاري عن عالمنا إلى الملكوت عام ١٣٣٩ ه فعليه الرضوان والتحيات[١]... هذا كان اهم ما أردت قوله لك في سيرة هذين العارفين العاشقين فتأمل فيهما جزاك الله الف خير.

■ ■ ■

(١) للإستزادة عن حياة الشيخ الأنصاري، انظر كتاب المحترق، إعداد المؤسسة الثقافية للدراسات (شمس الشموس)

رجل العشق الإلهي

بعد يومين من لقائي بالشيخ يقظان، وعملي بالبرنامج المتعلق بمقام الحب، قصدت الحاج سعد النداف فاني لم اره منذ اسبوع تقريبا، وقد اشتقت إلى لقائه ومجالسته، والاستماع إلى كلامه العذب...

استقبلني في محل عمله بحفاوته المعهودة، وابتسامته الملكوتية، وبينما كان مشغولا بندافة فراش جميل قال لي مبتسما:

شلونك بويه؟!

شلونها روحك؟!

وين وصلت وي أستاذك؟!

- خضّر الزرع لو بعده؟! كملتوا سقي؟!

قلت: هذه الأيام نتكلم في مقام محبة الله تعالى، وصار يومين يسولفلي على شيخ رجب الخياط، وشيخ جواد الانصاري ومحبتهم لله سبحانه وتعالى

- ايبااااه خوش زلم!

كانوا شجعان في الحب، جا هو الحب ما يخوض بيه الا الشهم الشجاع اللي امه مشربته لبن من نهر يم باب خيبر!

اذن ما دام مريت على هاي الارواح العاشقة، وتعرفت عليهم، خليني اضيفلك شخص ثالث وياهم شرب من ماي العشق واختمرت روحه بالحب وخلص حياته عاشق وولهان ومنصرف لربه ومحبوبه سبحانه...

- يا ريت حجي، صراحة اني هواي مشتشوق اتعرف على هيج ارواح، من سولفلي الشيخ عنهم لهسه اشعر بهدوء وسكينة عجيبة، وكأنني شايفهم وكاعد وياهم...

- جان اكو شاب اسمه (حبيب داخل) من أهل السماوة، نقي وطيب ومؤمن، وعنده صفات أخلاقية عالية، ملتزم بصلاته ودوم يتردد على الجامع، وكان شديد التعلق بأهل البيت ﷺ، ويداوم على حضور مجالس الإمام الحسين (صلوات الله عليه)، في يوم من الأيام التقى (حبيب) بواحد من أهل الله الصالحين فسأله حبيب:

- سيدنا اني أريد الله!

- اطرق السيد برأسه، وتأمل طويلا، ثم قال للشاب:

- بويه، الله قريب، والمسافة بينك وبينه قصيرة (وان الراحل اليك قريب المسافة)، بس إذا تريد الله روح له بـ [الحب]

قال حبيب: وشلون اروحله بالحب؟!

ـ الأمر بسيط، اكعد بين يدي الله، واطلب منه المحبة، وهو راح يعلمك.

فقال الشاب: بيني وبين الله حجب نفسي وخاف ما ينطيني المحبة بسبب ذنوبي!

ـ توسل بأعز الخلق واقربهم منه وهم (محمد وآل محمد)، بس دير بالك تعصيه، اليحب ما يزعج حبيبه!

ـ اخذ حبيب هاي النصيحة دستور عمل وبرنامج يومي وصار يوميا يكعد على مصلايته ويسولف مع حبيبه ويكله كلشي ما أريد بس محبتك عليك محمد وال محمد لا تحرمني نظرة محبتك الي، صارت غايته المحبة وسبيله لهاي الغاية التوسل ودابته مراقبة نفسه وعدم المعصية.

وشوي شوي اخلص محبته حتى صار ما يسوي أي شي الا وغايته حبا بالله تعالى، وستمر هذا الشاب على هاي الحالة إلى أن جذبته الألطاف الإلهية، وانتشلته يد العناية الربانية، فصار ما يتلذذ الا بالمناجاة والذكر، وكان عنده محل يصلح بيه (مكائن الخياطة) فتشوفه ما دام هو بالمحل يترنم بحب الله تعالى، فكان حاله مصداقا لقول مولانا سيد الشهداء عليه السلام:

(يا من أذاق أحباءه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملقين! ويا من ألبس أولياءه ملابس هيبته فقاموا بين يديه مستغفرين!

أنت الذاكر قبل الذاكرين، وأنت البادي بالاحسان قبل توجه

العابدين، وأنت الجواد بالعطاء قبل طلب الطالبين، وأنت الوهاب ثم لما وهبت لنا من المستقرضين!

إلهي! أطلبني برحمتك حتى أصل إليك واجذبني بمنك حتى أقبل عليك إلهي! إن رجائي لا ينقطع عنك وإن عصيتك كما أن خوفي لا يزايلني وإن أطعتك فقد رفعتني العوالم إليك وقد أوقعني علمي بكرمك عليك.)

لقد ذاق من كأس المحبة فصار وجودا متوهجا بحب الله تعالى، وكانت ساعاته مصروفة بالذكر والوصال والمناجاة وقراءة القرآن الكريم حتى نال المحبة:

فإن شئتَ أن تحيا سعيدًا فمُتْ بِهِ
شهيدًا وإلاّ فالغرامُ لهُ أهْل
فمن لم يمُتْ في حُبّه لم يَعِشْ به
ودون اجتناءِ النّحل ما جنتِ النّحل
وقُلْ لقتيلِ الحبّ وَفّيتَ حقّه
وللمدعي هيهاتِ ما الكَحَلُ الكَحْل
تعرّضَ قومٌ للغرامِ وأعْرَضوا
بجانبهم عن صحّتي فيه فا عتلوا
رَضُوا بالأماني وابتُلوا بحظُوظهم
وخاضوا بحار الحبّ دعوى فما ابتلّو
فهُمْ في السُّرى لم يَبْرَحوا من مكانهم
وما ظَعَنوا في السّير عنه وقد كَلّوا

وعن مذهبي لمّا استَحَبّوا العمى على الـ

هُدَى حَسدًا من عَنْدِ أنفسهم ضَلّوا

أحبَـةَ قـلـبي والـمَـحَـبّـةُ شـافـعـي

لـدَيكـم إذا شـئـتُـمْ بـهـا اتّـصـل الـحـبل

عسى عَـطْـفَـةٌ مـنـكُـمْ عـلـيّ بـنـظـرةٍ

فـقـد تـعـبَـتْ بـيـنـي وبـيـنَـكُـمْ الـرُّسُـلُ

أحِبّايَ أنـتُـم أحـسَـنَ الـدّهـرُ أم أسـا

فـكـونـوا كـمـا شـئـتـمْ أنـا ذلـك الـخِـلّ

إذا كان حظي الـهـجـرَ منكـم ولـم يـكـن

بِـعـادٌ فـذاك الـهـجـرُ عـنـدي هـو الـوَصْـلُ

ومـا الـصّـدّ إلاّ الـوُدّ مـا لـم يـكـنْ قِـلـىً

وأصـعـبُ شـيءٌ غـيـرَ أعـراضِـكـم سـهـل

- قرأ الحاج النداف هذه الابيات فتقاطرت دموعه كحبات اللؤلؤ، ثم كفكف دموعه وقال:

- استمر حال حجي حبيب السماوي هكذا إلى أن وفقه الله تعالى فتعرف على العارف الكبير السيد هاشم الحداد، والعارف الكبير الحاج عبد الزهراء الكرعاوي وغيرهما من سالكي طريق السير والسلوك والعرفان فنضجت روحه برفقتهم وتكاملت نفسه معهم وكان يحضر جلسات السيد الحداد الخاصة، واما العارف الحاج الكرعاوي فكان يقصد الحاج حبيب لبيته ويمكث عنده لعدة ايام...

ـ حجي حبيب كان عاشقا ما له نظير كان يمشي بسوك السماوة وينادي (احبك يا الله) ودموعه تجري، غلب الحب عليه وصار من أهل الجذب وكان يردد مناجاة المحبين دائما ويقرأ أشعار الحب الإلهي في حله وترحاله

وحَـيـاةِ أشـواقـي إلـيـكَ ... وتُـرْبَـةِ الـصَّـبـرِ الـجـمـيـلِ
ما استحسَنَتْ عيني سواكَ ... ولا صَـبَـوْتُ إلـى خـلـيـلِ

وكان شديد التعلق بالإمام الحسين وزيارته، وكثير التفجع لمصائبه الراتبة:

لو كنت تعلم ما في القلب من شجن
ما ذاق طـرفـك يـومًـا طـيـب الـوسـن
ولـو رأيـت غـداة الـبـيـن وقـفـتـنـا
أسلت قلبك دمعًا كالحيا العتني
نـاديـت مـذ طـوح الـعـادي بـضـعـنـهـم
وراح يـطـوي فـيـافـي الأرض بـالـبـدنِ
يـا راحـلـيـن بـصـبـري والـفـؤاد مـعًـا
رفـقًـا بـقـلـب مـحـبٍ نـاحـل الـبَـدَنِ
أخـفـي مـحـبـتـكـم كـيـلا يـنـم بـنـا
واشٍ ولـكـن دمـع الـعـيـن يـفـضـحـنـي
دع عـنـك يـا سـعـد ذكـر الـغـانـيـات ودع
عـنـك الـبـكـاء عـلـى الأطـلال والـدُمـنِ

وإسمع بخطبٍ جرى في كربلاء على
آل الرسول ونح في السر والعلني
يومٌ به المصطفى باتت حشاشته
حرى ولم ترق عيني من أبي حسن
لم أنس ناصر دين الله منفردًا
وفيه أحدق أهل الشرك والأحن
يرنو إلى الصحب فوق الترب يحسبها
بدور تمن غدة في الحالك الدجن
لهفي له مذ رأى العباس منجدلًا
فوق الصعيد سليبًا عافر البَدَنِ
نادى بصوتٍ حزين يذيب الصخر يا عظدي
ويا معيني ويا كهفي ومؤتمني
عباس قد كنت لي عظدًا أصول بي
وكنت لي جنتًا من أمنع الجنني
كسرت ظهري وقلت حيلتي وبما
قاسيت سرت ذو الأحقاد والضغن
بقيت بعدك بين القوم منفردًا
أقلب الطرف لا حامٍ فيسعدني

هكذا كانت أحوال الحاج السماوي، إلى أن ارتحل عن هذه الدنيا عام ١٩٧١ م رحمة الله عليه...

*** قصة عجيبة**

من القصص العجيبة التي حصلت مع حجي حبيب وكل حياته قصص يقول: يوم من الأيام اخذت استخارة ردت اطلع للسوق طلعت مو زينة، فعدتها ردت اروح لمكان ثاني طلعت مو زينة، اختاريت مكان ثالث طلعت سيئة، فقررت اروح للصحراء واقرا ذكر ومناجاة فطلعت الخيرة جيدة، فطلعت للصحراء، لمن وصلت الصحراء لكيت اثنين شباب ووياهم بنت شابة وهم يهمون بقتلها وواحد يكل للثاني اني اكتلها واغسل عارها بمكانك وهي كاعدة ترتجف من الخوف وتنتظر اجلها!

وكانت بيد واحد منهم مسحاة يحفر قبر حتى يدفنها بيه!

يكول حجي حبيب: اجيت اركض وگتلهم عمي ليش تردون تقتلونها شنو ذنبها؟!

كالوا: هاي اختنا ولكيناها حامل وهي ما متزوجة ونريد نقتلها!

كتلهم عمي: اني فلان ابن فلان الناس كلها تعرفني شنو رأيكم اخطبها منكم واسترها؟!

انطوني البنت اعتبروني ابوها زوجها أي شي وانتم اذبحوا دجاجة وخلو الدم على اديكم وكولوا ذبحناها وتخلصنا منها واني اعاهدكم ما اخليها توصل للسماوة...

فقنعوا وانطونياها واني اخذتها مباشرة لمحافظة الديوانية،

ولما وصلت هناك اخذتها للدكتورة حتى أعرف طبيعة حملها ومدته، وبعد الفحص طلعت الدكتورة مستغربة وكالتلي:

- حجي هاي البنت مو حامل واصلا هي عذراء شلون تگولي حامل...!

يكول حجي حبيب: ما حاجيتها شكرت الله تعالى وتوجهت بيها لكربلاء المقدسة ولمن دخلت للزيارة لكيت بباب الحسين شاب يتسول ويمد ايده للناس

فكتله: عمي أنت تجدي من الحسين لو من زوار الحسين؟!

كالي عمي اني فقير وما عندي قوت يومي

- كتله عمي أنت من يا عشيرة؟!

ـگكال اني سيد ابن رسول الله

- گتله شنو رايك ازوجك بنتي!

- عمي أنت تضحك علي، اني بطني ما اكدر اشبعها شلون اعيش بنتك

- عمي أنت جدي من الحسين وهو يتكفل بكل هاي الأمور

- يكول حجي حبيب: اخذته اجرتله بيت واثثته وزوجته البنت بنفس الليلة والصبح لكيتله شغله تليق بيه ورجعت للسماوة

وصرت بين مدة ومدة اروحله واتفقد أحواله إلى أن رزقه الله

منها اربعة اولاد وبعد مدة من السنين عرفت اهلها ورحتلهم واخبرتهم بالقصة فاعتذروا لها وعاشت مكرمة في بيت زوجها.

هاي كانت قصة من قصص المحبين لله تعالى، رضوان الله عليهم وحشرنا واياهم في رحال محمد وآل محمد.

■ ■ ■

نهاية المطاف

يقول حسن:

عشت في المقام الثالث (المحبَّة) مدة لا تقل عن ثلاث سنوات، ثم قادتني يد العناية الإلهية إلى المقام الرابع (المعرفة الشهودية) وكتمان ما في هذا المقام واجب في عرف العارفين، والصمت في حرم الجمال جمال

هذا فيما يتعلق بسيري المعنوي وحياتي السلوكية على يد الشيخ يقظان الذي نال شرف الشهادة في الجانب الأيمن من الموصل ضمن قطعات الحشد الشعبي حيث انه لبَّى فتوى الجهاد الكفائي التي أطلقها مرجع الطائفة السيد السيستاني (دام ظله)، وقد دُفن قرب قبر المرجع الشهيد السيد محمد محمد صادق الصدر (قدس سره)، كما توفي بعده بأيام قليلة رفيق دربه، وشريك حبه، الحاج سعد النداف (رضوان الله عليهما) ودُفن جنب قبر أستاذ العرفاء السيد علي القاضي (قدس سره)...

اما فيما يتعلق بتفاصيل حياتي الاخرى فانا الآن دكتور مختص بعلم الأعصاب ولدي عيادة في الكرادة، وزينب دكتورة